



احتفاف قبور

الطبعة الأولى  
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جامعة جنوب الصعيد محفوظة

© دار الشروق  
أسسها محمد المعتزم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سبيويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر  
، بـ : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)  
بيروت : ص. بـ : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣  
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

خيال × خيال

# اختطاف قوس قزح

تأليف: محمود قاسم

دارالشروق



(١)

بدت المباراة شديدة الإثارة في اللحظة الأولى لبدايتها .

فقد احتشد أبناء مديتى « التفاحة البنفسجية » و« البرقوق الطازج » أمام شاشات البث لمشاهدة وقائع المباراة العجيبة ، والمنتظرة .

وفي الملعب كان هناك قرابة ثلاثة ملايين متفرج ، جلسوا جميعا يشجعون أعضاء الفريقين .

كان كل شيء معد سلفاً لهذه المباراة الساخنة ، والتي لابد ان يكون فيها غالب ومحظوظ . ويجب أن ينتصر أى من الفريقين في الوقت المسموح به . فقد آن الأوان أن يثبت كل فريق تفوقه على الآخر ، بعد المنافسات الحادة والشديدة بين المدينتين في الفترة الأخيرة .

امتلأت القلوب بالحماس ، وبالمشاعر المتداقة ، وراح أبناء المدينتين ينشدون الأغانيات الحماسية التي تعبّر عن تعصّبهم الشديد لما أنجزته مدينتهم في الفترة الأخيرة . وأدرك الكل أن هذه المباراة ستحسم لمن الغلبة : مدينة « التفاحة البنفسجية » ، التي

استعدت بكل قدراتها من أجل دخول المbaraة ، أم مدينة « البروق الطازج » التي فتحت أبوابها لأكثر من مليوني مواطن من مواطنى مدينة التفاحة كى يأتوا ويحضروا وقائع المbaraة .

ورغم جو المنافسة الشديدة التي انعكس في كلام الناس ، وما يتردد على ألسنتهم من آمال عريضة بالنصر ، فإن جوا من البهجة كان يشع على الجميع ، بدا كأنهم في مهرجان دولي للفرح . وجاء أبناء « مدينة التفاحة البنفسجية » معهم بأشياء كثيرة معتقدين أنهم سوف يثرون انتباه المدينة المنافسة . وذلك مثل الصفارات الناطقة ، والملابس المتعددة الألوان الفضفاضة ، وبدت ملابس النساء على أحدث موضة باعتبار أن آخر تقليعة هي الألوان المجنونة المتضاربة . جاءوا راكبين الأتوبيسات الطائرة التي حطت في الشوارع ، وسكبت آلاف البشر وعادت لتأتى بقوم جدد .

كانوا يحملون معهم من الأجهزة ما يثير الدهشة ، ومن الأطعمة ما يفتح الشهية ، وانطلقوا يغدون للتفاحة البنفسجية المدينة التي لا تعرف سوى البهجة .

ولكن ، ما إن نزل أبناء تلك المدينة إلى مدينة « البروق الطازج » حتى كانت الصدمة .

(٢)

على الشاشة الالكترونية جاءت كلمات ذلك «الشبح الأزرق»  
مليلة بالحسنة :

ـ آه .. إنه يوم ملئ بالشمس على المدينة الزرقاء ..

كان الشبح الأزرق يعرف أن مديته التي لا تدخلها الشمس  
قط ، يمكن أن تصيبها كارثة لو عرف النور طريقه يوما إلى سمائها  
الداكنة . ولذا فإن هذه الجملة الملية بالحسنة تعكس ما يحسه فعلا ،  
 فهو يتصور أن الشمس قد سطعت فجأة على مديته ، فأضاءتها  
وبددت فيها اللون الأزرق إلى الأبد .

إنه يحس بالكارثة فعلا ، وذلك لأنه يجلس يرقب وقائع المباراة  
الساخنة بين المديتين ، عقب أن استردت ثقتها بنفسها . وهما  
الناس مبهجون وسعداء يرتدون أحاسيس مالديهم وكأنهم في  
مهرجان .

كانت الشاشة كلها صورت شخصا سعيدا ، وفرحا ، يردد في  
داخل نفسه :

ـ آه .. سوف أريك .. إياك أن تفرح !!

وكان كلما سمع شخصين من المديتين المتنافستين يرددان أن  
الفوز حليفهما ، ردد بغيظ :

.. - بل سوف تخسرون جميعا ..

ووسط هذا الجو المتوتر في مقصورة الشبح الأزرق ، لاحظ أتباعه أنه في أشد حالات القلق ، وأنه لم يكن أبدا في حياته مثلما هو الآن . اقترب منه تابعه « الداكن » وهمس قائلا :

· - سيدى الشبح . هل ستسكت على هذه المهزلة ؟  
وعلى الفور جاءت كلماته على الشاشة مجسدة : ياللماساة . . .  
الناس سعيدة . . . هل رأيت إلى أى حد بلغت المهزلة درجاتها ؟  
الناس سعيدة . وأنا موجود .

ثم انقطعت الكلمات كأنه يلقط أنفاسه . وأكمل بعد قليل :  
- إنهم لا يعرفون أن الضحك يمزق أوصالى . . آه . . سوف أرّيهم . .

سأله تابعه « الداكن » :

- هل اقترح عليك شيئا نفعله . ؟

برقت عينا الشبح الزرقاوين ، والتفت إلى تابعه ، كأنه يستفسره عما يقصد ، ولم تكن مصادفة أن رأى عينيه تلمعان أيضا بشدة ، رغم الظلام الشديد الذى يسود المكان ، وكان لديه فكرة جهنمية عليه تنفيذها .

(٣)

امتلاءات مدينة « البروق الطازج » بكل ما هو مبهر للزائرين من مدينة « التفاحة البنفسجية » فالمترو الطائر يتحرك بأسرع من الضوء . والمكان بأكمله يبدو كأنه مدينة ملائكة ، أو كأنه هدية ملفوفة بشريط وردي جميل ، تنبعث فيه زفقات الطيور ، وغناء الناس ، وتتلا أضواء عشرات الدرجات من الألوان . وتنبعث الموسيقى الجميلة من مكبرات الأصوات في الشوارع . ولا تمتزج الأصوات ببعضها ، ولا تسبب أى تداخل ، وهناك شاشات عريضة في كل شارع ، يمكن للمرء رؤيتها ومتابعة ما يحدث في المدينة من ناحية ، ثم وقائع المباراة التي ستبدأ بعد قليل من ناحية أخرى .

لم يكن للناس الحديث سوى عن المباراة ، واللاعبين ، وقوانين اللعبة الجديدة التي تغيرت في اللحظة الأخيرة ، ولا أحد يعرف بنودها ، حتى تكون مفاجأة للمتفرجين ، وربما لللاعبين أنفسهم حيث سيعرفونها فقط ، وهم يصافحون بعضهم البعض في الملعب .

كان أطرف مافي الأمر هو أنه منوع المراهنة بأى ثمن على المباراة .

فطالما أن هناك رهانا فلاشك أن هناك رابحا وخاسرا . وسوف يعلم ذلك على خلق الضغائن بين الناس . ولذا ، سرعان ما جاءت الإشارة إلى قسم الشرطة بأن المفترس «عادل» قد قبض على شابين سولت لهما نفساهما أن يدخلان رهان مالى على نتائج المباراة . فجأة دقت الساعة السادسة .. وعم المدينة كلها صمت رهيب ..

فمعنى أن الساعة تدق ست دقات ، أن على الناس أن يتزموا الصمت . ثم بعد أن انتهت الدقات راح الناس جيما يغنوون الشيدين الوطنيين معا . في الملعب ، والمنازل ، والشوارع ، والأماكن العامة والمفتوحة . حيث أنه لم يكن هناك أحد في المنزل سوى غير القادرين صحيما . وقفوا جيما يغنوون ، ويتكلّفون ، وقد امتهنوا معا . أبناء التفاحة والبرقوق معا . وكأنهم لا يعرفون ماذا يمكن أن تخبيء الدقائق التالية .

(٤)

بعد أن انتهى الجميع من عزف الشيدين الوطنيين ، رأى الناس على الشاشة صورة لرجل عجوز يجلس بين الجماهير ، جاء



خصوصاً من أجل مشاهدة المبارزة . . ورغم أنه أول من شاهده الناس على الشاشة ، فإنه كان جالساً بين الجاهير ، ولم يشاً أن يكون في مقصورة كبار الزوار .

بذا الجمبع سعيداً بظهوره على الشاشة ، وخاصة أبناء مدينة الحكايات الذين جلسوا يتبعون افتتاح المبارزة الساخنة في قاعة الحكمة التي يأتي إليها عادة كبار أبطال الحكايات وأكثرهم شهرة من أجل التشاور .

أحس « حكيم » بالسعادة وهو كبير أبناء مدينة الحكايات ، وهو يرى هذا التكريم لابن من أبناء الحكايات ، فالتفت إلى الجالسين حوله ، كأنه يردد :

ـ هل ترون؟ . هذا واحد منا . .

بذا الجمبع وكأنهم يشعرون برضاء تام ، وسعادة بالغة . فهاهم أبناء المدينة يلقون التكريم ، ويشتتون يوماً وراء يوماً أنهم المناضلون الأوائل ضد الشرور في كافة أنحاء العالم . وأنهم يسعون دوماً لسيادة الخير والحق والعدل .

ـ هنا تدخل سندباد قائلاً :

ـ هذا شيء مبهج للقلب . .

و قبل أن ينتهي من جملته ، دخل شخص القاعة ، واقترب من

«حكيم» وراح يهمس له ببعض الكلمات .. لمعت عينا «حكيم»  
وبدا كأنه يسأل الرجل عن صحة ما جاء به من أخبار، فهز الرجل  
رأسه بالإيجاب ، زم شفتيه .. وأشار له أن ينصرف .

ورغم جاذبية العرض الذي يسبق المباراة ، والذي يمكن  
مشاهدته على الشاشة ، فإن أغلب الجالسين انتبهوا إلى زعيم  
المدينة الذي شرد قليلا ، أحاطوه بأعينهم ، وهنا سأله على بابا:

- ماذا حدث .. هل هناك أمر جسيم ..

ـ ط «حكيم» رأسه . وقال .

- إنه هو .. يغلى كلما شاهد الآخرين في سعادة ..

تمتم الجميع في عبارة واحدة :

- الشبح الأزرق ..

ـ هز «حكيم» رأسه ، وقال : لقد دبر مؤامرة دنيئة فعلا هذه  
المرة ..

(٥)

جلست مجموعة من أبناء المدينة في منتدى عام ينظرون إلى  
الشاشة العريضة التي تعرض وقائع الحفل الذي يسبق المباراة  
الساخنة ، وهم يتبادلون بعض التعليقات من وقت لآخر ..  
ـ كان كل شيء مبهرا ، وكأن هذا الاستعراض معد خصيصاً

أبناء مدينة « البروق الطازج » للتأكد على تفوقهم في فنون العرض والإعلام ، وأنه لا يمكن بالمرة لأى مدينة في الدنيا أن تنقل وقائع مباراة بمثل هذا الشكل الإعجازي ، كان الناس يحسون كأنهم في أرض الاستاد . وأنهم لاعبون يشتربون في اللعب ، وكأنهم من الشباب الذى آدى مراسيم حفل الافتتاح بشكل إعجازي .  
فجأة صاح شاب صغير ، وهو ينظر إلى الشاشة :

ـ ياه .. الإرسال يهتز ..

ود الجمیع أن يردد نفس الجملة معا ، فقد بدأت بعض الخيوط البيضاء في الظهور فجأة على الشاشة .. ثم اهتزت الصورة بشكل سريع . وتحولت الشاشة إلى كتلة باهتة تتحرك عليها الصور ، ولا يمكن لأحد أن يحدد بالضبط ماذا يراه على هذه الشاشات ..  
هتف أحدهم :

ـ إنه الإرسال !!

كان الأمر غريبا حقا ، فكيف يمكن لمؤسسة تفخر بأن تقدم مثل هذا العرض أن تقع في خطأ صغير أمام كل هذه الجماهير ، وفي حفل الافتتاح ، خاصة أن البعض قد تصور أن هذا أمر طارئ سرعان ما سيختفى ، وسيعود الإرسال مرة أخرى ، وعلى وجه السرعة .

لكن الأمر ازداد سوءاً . وبدت الشاشة كأنها جهاز تلفاز  
خ Yusn لاستقبال قناة معينة عن طريق «الكابل» ثم انقطع  
الاتصال فجأة . فبدت أشباحاً هلامية ، لا يمكن معرفة حدودها .  
قال أحد الجالسين :

ـ لكن الصوت واضح ..

رد جاره : إذن فلا بد أن يعود الإرسال .

رد ثالث : لكن خسارة أن يفوتنا الاستعراض .. والمبارة  
ستبدأ خلال دقائق ..

فجأة هتف صبي صغير ، وهو يشير إلى الحديقة : انظروا .  
ياللهول ..

وكان المنظر مثيراً للغایة ..

(٦)

بدت كأنه لم تكن هناك حديقة . حقاً توجد مزروعات ،  
وأشجار ، وورود .. لكن ماذا هناك بالضبط ، إنها أشياء أشبه  
بأشباح تتحرك ، لا يمكن تمييز شكلها ، ولا لونها . تبدو جميعاً  
كأنها ذات درجة واحدة من اللون ، لا . بل لا لون لها بالمرة ..  
مسح البعض عيونه ، وراح يدقق من جديد في المنظر أمامه ..  
هناك حديقة ، ولكنها أبعد ماتكون عن الحدائق ، التفت البعض

الآخر إلى شاشة العرض العام ، فشاهدوا الحال كما هو ، مجرد صور شبحية ، لا يمكن لأحد أن يت肯هن بها تكون .

هنا نظر رجل إلى زوجته ، وصاح باستغراب شديد :  
ـ ماذا حدث لردائك المزركش ؟ .

و قبل أن تلتفت المرأة إلى ردياتها المزركش ، هاها شعر زوجها وقد فقد لونه الأسود ، ويداً كأنه صورة سلبية على شريط تصوير . لم يرعب في وجهها الذي بدا كأنه شاشة تلفاز قطاع خاص ، فقد اتصاله بمحطة الإرسال فجأة . . .

وسرعان ما حل الرعب ، وسادت الدهشة المكان ، وراح الناس يلتفتون حولهم ، وكأنهم يبحثون عن شيء ما حدث ، أوضاع فجأة ، دون سابق إنذار ، تخيل البعض أن حرباً جرثومية قد اندلعت ، وأن أحداً لم يعد يستطيع أن يرى الأشياء بشكل محدد فيها حوله ، أما البعض الآخر ، فقد تصور بأن مرضاً مفاجئاً أصاب العيون . فجعلها غير قادرة على الرؤية جيداً ، أو على التمييز بين الأشياء .

وامتلاك المكان بالهمميات والتساؤلات التي مالت أن انتقلت من أماكن أخرى عديدة في مدينة « البروق الطازج » ، لم يستطع أحد أن يحدد ماذا حدث بالضبط حتى تلك اللحظة .

وفي الملعب بلغت المأساة قمتها .

فقد كان الملعب ساحة خصبة لكل ما هو مبهر ، ومثير ، حيث ارتفعت البالونات العملاقة من كل الأنهاء ، تمثل كافة الشركات والمؤسسات التي تعلن عن أحد متجراتها ، وأيضاً التي تحمل الكثير من عبارات التأييد للفريقين المنباريين . وانطلقت من المناطيد المزركشة الألوان ، والطائرات المروحية ، والدراجات الطائرة أصوات الموسيقى والغناء ، الممزوجة بأصوات المشجعين في مقاعد الملعب ..

ووسط هذا الجو الصاخب . بدا كأن شيئاً ما قد انطفأ . أو  
كان نوراً ما قد خبا واحتفى لونه .

(٧)

ترى ماذا حدث حقيقة في مدينة « البروق الطازج » ؟  
لم يستطع أحد أن يفهم ماذا حدث بالضبط . خاصة في مدينة الحكايات التي اجتمع أبناؤها كى يشاهدوا وقائع تلك المبارزة المتطرفة المثيرة . فقد بدت الشاشة فجأة ، وكأنها فقدت رونقها . وسرعان ما نقل التلفاز وقائع ذلك الصاخب الذي ساد المدينة .

وعلى وجه السرعة ، هنا وقف « حكيم » وردد :  
- إنها مؤمرة بلاشك .. إنه « الشبح الأزرق » مجدداً .

أصاب الذهول جميع الحالسين في القاعة الكبرى ، ولم يستطع أحد أن يفهم ماذا حدث بالضبط ، خاصة أن الشاشة المشوهة الإرسال لم يمكنها نقل الصور بكل وضوح .

تساءلت أم الغولة :

— إنه الإرسال بالتأكيد ..

رد جحا : لعل قبلة انفجرت .

سرعان ما تدخلت أم الغولة ، قائلة : صه .. فأل الله ولا فألك .

صاح عنترة : إنه غبار فضائي ..

رفع « حكيم » يده ، فسكت الجميع ، وبدا كأنه يستعد للكلام ، نظر إلى الشاشة ، ثم إلى رجال الحكايات ، وقال : على كل ، سرعان ما استحصل الأخبار .. لكن اعتقاد أن الأمر جسيم فعلا ، ونحن لدينا مواطن من مدينة الحكايات موجود الآن في المدينة .. يجب أن نساعدك إذا حدث شيء خطير ..

فجأة ، صاح علاء الدين : انتبهوا ..

وسرعان ما ظهر على الشاشة مذيع ، كأنه يستعد لإذاعة بيان هام ، بدا وجهه شبيها لا يمكن التعرف على ملامحه بالمرة ، وجاء صوته عبر جهاز التلفاز ، وهو يقول :

- أهيا السادة ، جاءنا النبأ التالي :

« قرر مجلس إدارة المدينة سرعة غلق أبوابها ، وإعلان حالة الطوارئ القصوى ومنع دخول المدينة أو الخروج منها ، حتى إشعار آخر . »

هنا هتف « حكيم » :

- يا إلهي .. إذن فالعجز في خطر ..

(٨)

وأغلقت المدينة أبوابها ، وصدر قرار بحظر التجوال ابتداء من ساعته ، وكان على أبناء المدينة أن يسرعوا بالعودة إلى ديارهم ، ووسط جلبة لامشيل لها ، اندفع الناس نحو وسائل المواصلات ، ونحو سياراتهم الخاصة ، ووسائل ركوبهم التي اعتادوها ، لكن الاضطراب الشديد الذي ساد المدينة ارتفعت حدته .. فوسط هذا الجو الغريب ، لم يعد أحد يعرف أين توجد سيارته ، بل ولا من يكون الشخص الذي يجرى أمامه ، أو إلى جانبه ، حتى أبناء الأسرة الواحدة ، بدوا كأنهم لا يعرفون بعضهم البعض ، بعد أن تاهوا في الزحام ، وكان يمكن لأب أن يسمع صوت ابنه يناديه فلا يعرف أين هو ، ولا هل هو أم لا ، إلا من خلال نبرات صوته .  
وارتفعت حدة التخبط ، كأنه يوم المشر العظيم ..

ولولا ستر الله ، وبفضل السلوك المتحضر الذى يسلكه أبناء المدينة لزادت الكوارث ، حيث انطلقت أصوات المكبرات بأن على الجميع التزام المدحوه . أو الالتزام بأماكنهم ، وسوف تتدبر الأمور بأسرع ما يمكن .

لكن الخطر زاد من جديد ، عندما أحس الناس أن هناك تحبطاً واضحاً في قرارات الإدارة العليا للمدينة . وسرعان ما سرت الآنباء أن ماحدث ليس سوى مؤامرة دبرها الأعداء ، من أجل إفساد المبارزة ، والتي كان من المؤكد أن المدينة ستفوز بها فوزاً ساحقاً .

وأحس الناس أن هناك اتهاماً من الإدارة العليا للمدينة ، لمدينة «التفاحة البنفسجية» ، ولاشك أنها صاحبة المصلحة الأولى في محدث ، خاصة أن المؤشرات تدل أن فريق «البرقوق الطازج» قد أعد خطة سرية للفوز ، في المباراة ، فوزنا أكيداً .

وبذا الاتهام واضحًا في قرار إغلاق أبواب المدينة ، على القادمين منها ، والخارجين عنها ، وخاصة أنه يوجد الآن في داخلها قرابة مليونين ونصف مليون زائر ، جاءوا من أجل المباراة ، وللوزارة فريقهم . لذا بذا قرار إغلاق المدينة ، كأنه بمثابة اتخاذ أبناء مدينة التفاحة البنفسجية كرهائن ، حتى يتم حسم المواجهة المتطرفة بين «المدينتين ، وبأى ثمن» ، فالامر لا يمكن السكوت

عليه . خاصة ، أنه حتى الآن ، لا أحد يعرف بالضبط ماذا  
حدث في المدينة ؟

(٩)

— من المؤكد أنه قد ضاع شيء ثمين في هذه المدينة .. إنها  
الألوان ١١

هكذا تتم العجوز ، وهو يحاول مقاومة كافة الأجساد التي  
حاولت أن تدهسه وهي تسعى لأن تجد لنفسها منفذا ، خشية أن  
ما حدث يكون بداية لمخاطر لا يعرف سوى الله عواقبها ، ووسط  
حيرة أصابته ، راح ينظر حوله ، فلم يستطع أن يحدد ماذا جرى  
بالضبط ، دعك عينيه ، وقال في بداية الأمر :

— لاشك أنني أصبحت فعلا شيخا عجوزا ..

لكنه عرف أن نفس الشيء حدث لجميع من حوله ، وسرعان  
ماتكهن أن الخطر الحقيقي يعني أن الألوان اختفت من المدينة .  
كل الألوان ومشتقاتها ، ولذا سرعان ما فقدت الأشياء هويتها  
الخارجية ، الأشجار ، والأماكن العامة ، والمزروعات ،  
والطائرات ، فلم يعد بامكان أحد أن يرى الأشياء على حقيقتها ،  
لأنها بشكلها الجديد قد فقدت كل سماتها المعروفة عنها .

الآن ، أصبح المكان شبه خاو ، وهما هو العجوز ، جالس في

مقدده ، يتأمل الاستاد حوله ، فلا يمكنه أن يميز بين الأشياء بسهولة ، لكن صمتا رهيبا ، يعلو المكان الذى كان صاحبا قبل قليل . وملينا بالحياة ، إنه الآن يشكو الصمت والسكون . وأمكن للعجز أن يتذمر ما يمكن أن يحدث ، وسرعان ما فهم أن ماحدث هو أن الألوان اختفت فجأة من المدينة .

قام من مكانه ، وتم من جديد :

- يجب أن أذهب إلى مدينة الحكايات . فالموضوع خطير حقا .  
ولكنه تذكر أن المدينة أغلقت أبوابها ، وأنه منع على أحد مغادرتها ، حتى إشعار آخر . وفجأة سمع صوت سيارة يقترب ، فالتفت حول ، ورأى سيارة لم يستطع بالطبع أن يحدد شكلها ، راحت تقترب منه ، ثم نزل منها أربعة رجال اتصفوا أنهم من قوات العمليات الخاصة ، كانوا يرتدون على أعينهم نظارات غريبة الشكل ، ويحملون بين أيديهم أسلحة فتاكة ، راحوا يشهرونها في وجهه ، وقال أحدهم :

- أيها العجوز . أنت مقبوض عليك .  
ولم يشا أن يبدى اعترافا واحدا ..

( ١٠ )

لم يستطع العجوز أن يميز تلك النظارات الغريبة التي كان

يرتديها رجال العمليات الخاصة ، إلى أن دخل مكتبا في مبنى الإدارة العليا . وهناك كان عليه أن يواجه أشخاصا لا يستطيع أن يحدد ملامحهم تماما ، إلا أنهم يستطيعون رؤيته بكافة ألوانه ، وذلك تبعا للنظارات التي يرتديها . إنهم فريق الألوان الصناعية . أو المهام الصعبة ، مثلما أطلقت عليهم التسمية . وكان عليهم سرعة التدخل ..

قال أحد الرجال ، وقد بدا كأنه رئيس المجموعة :  
- يؤسفنا أن نبلغك أن وجودك الآن معنا غير مرغوب فيه ..  
مط شفتيه مندهشا ، وقال : أليست أبواب المدينة مغلقة ؟  
رد نفس الرجل : سوف نفتحها من أجلك فقط . وذلك كي تقوم بتسليم رسالة مجلس إدارة المدينة إلى مدينة « التفاحة البنفسجية » ..

فهم أن امامه مهمة محددة ، عليه أن يقوم بها ، وهى أن يسلم مدينة « التفاحة البنفسجية » رسالة سرية ، ليس عليه أن يعرف كنهها بالمرة . تسأله  
- ولماذا اخترتى ؟

وسرعان ما جاء الرد : لأنك سبق أن أنقذت المدينة من كارثة  
محفقة .. ثم ..

وسكط الرجل قليلاً ، قبل أن يكمل : ولأن هناك نية لتوجيهه  
الاتهام لك بأنك وراء الأحداث الأخيرة ..

بدت كلمات غريبة ، وقاسية ، حاول العجوز أن يبتسم ،  
فلاشك أن مايقوله هذا الرجل لا أساس له من الصحة ، لكنه راح  
يردد في داخله ، بأن هذه الادعاءات ، بلاشك ، مرتبطة بالحالة  
التي أصابت المدينة بالفوضى ، والضياع ، حاول العجوز أن يبدو  
بشوشة ، وقال بكل هدوء ، وهو يسحب نفسه خارجاً من الغرفة :  
ـ أنا مستعد للوقوف إلى جانب أبناء «البرقوق الطازج» . فل  
فيهم أصدقاء وذلك مثلما فعلت مع مدينة «التفاحة البنفسجية» .  
كان قد مد يده واحتطف الرسالة ، وقبل أن يخرج من الغرفة  
التفت إلى ضابط الألوان الصناعية وقال :

ـ إن حال مدتيتكم اليوم أشبه بمدينة التفاحة البنفسجية يوم أن  
ضاع منها الطموح .

رد الضابط ، وكأنه يوجه إليه إنذاراً :  
ـ أخبرهم ، أننا ربنا نحاربهم ، فلدينا أسرى كثيرون منهم .

(١١)

وعند أبواب المدينة ، سمع صوتاً مألوفاً ينادي .. التفت

إليها ، لم يت彬ن ملامحها ، لكنه ت彬ن صوتها ، كانت ترتدي عوينات الألوان الصناعية .. وقفت أمامه تودعه . وهي تقول :

- نحن في مأساة .. فلا تتخلى عنا ..

بدت كأنها قد نجحت في أن تنتظره هناك ، أو لعل السلطات قد جاءت بها ووضعت نظارة الألوان الصناعية على عينيها . إنها عائشة ، التي رأت العجوز يهز رأسه بأسى ، وقال :

- لا يمكن طبعاً أن أقف عاجزاً أمام هذا الموقف .

وراح يربت على يديها ، قبل أن يغادر المكان . وما إن تجاوز بوابة السور ، حتى رأى كل شيء واضحاً ، هاله المنظر ، بدا كأن ضريراً استرد بصره .. وراح يغمض عينيه أكثر من مرة ثم يعيد فتحهما . وهو يرى لون السماء الأزرق والرماد الصفراء وشيتاً ما أحمر في الأفق ، صاح مندهشاً :

- يا إلهي .. هذه هي الألوان الأساسية الثلاثة ..

ثم راح ينفض عن نفسه غبار المدينة التي ضاعت منها الألوان فتساقط فوق الأرض ، وبدأ يميز ملامح يده ورأى لون جلده الأسود وهتف لنفسه :

- فعلاً . إنهم في مأساة .. يجب أن أحاول مساعدتهم .

أحس كأن مرض عمي الألوان قد أصاب المدينة ، بل ما هو

أشد ، فإذا كان المصاب بهذا المرض لا يمكنه أن يميز بين الألوان وبعضها خاصة في الليل ، فإن مدينة «البرقوق الطازج» قد ضاعت منها كل الألوان .. كانت أمامه مهمتان . أن يذهب إلى مدينة «التفاحة الزرقاء» حيث يسود غضب عام بسبب إغلاق أبواب مدينة «البرقوق الطازج» على مليونين ونصف مليون شخص من أبناء مديتها وحى إشعار آخر .

وأحس أيضا أن عليه أن يذهب إلى مكان بعيد من أجل أن يفعل شيئا منها .. إلى مدينة الحكايات ..

(١٢)

وأتجه إلى مدينة «التفاحة البنفسجية» ..

كان الغضب عارما وشديدا ، واصوات الغضب عالية ، من أجل إعلان حالة الحرب الغيرمنتظرة . حرب ، ويالها من حرب ستكون ، فمن المعروف أن أي مواجهة بين المديتين معناها حلول الخراب على الجميع ، فلن يكون هناك متصر أو منهزم . بل سيخسر الجميع أراضيهم . والرابع الوحيد سيكون شخصا مثل «الشبح الأزرق» .

لذا كان استقبال العجوز ممزوجا بالصخب والغضب في

المدينة .. وبدا كأن الناس سرعان مانسوا موقفه معهم أيام المحن  
الشديدة التي أصابت المدينة .

وكان الاجتماع مليئاً بالتوتر في قاعة الاجتماعات الكبرى المظلمة  
في المدينة ، لقد دأب أعضاء مجلس إدارة المدينة أن يلتقاً في مكان  
مظلم عندما يعقدون اجتماعاتهم الطارئة حتى لا يتعرف أى مواطن  
على زميله ، فإذا قابله في الشارع بدا كأنه يعرفه جيداً . وراحت  
هالة سوداء تحيط على الوجه . بينما جلس العجوز وسط القاعة  
الدائريّة كأنه متهم عليه أن يواجه الجميع بآرائه ويدافع عن نفسه .  
ودار حوار طويل . حاول فيه العجوز أن يتحلى بالهدوء ..  
 بينما عبرت أصوات بعض أعضاء مجلس إدارة المدينة عن غضب  
شديد . فكيف يسول لأبناء مدينة «البرقوق الطازج» أن يعتقدوا  
أنهم وراء ماحدث أخيراً .. بل وكيف جرعوا أن يغلقوا أبواب  
مدينتهم على زوارهم من المشجعين .  
 بدا الاجتماع كأنه لن ينتهي .. إلى أن قام العجوز ورفع يده  
فائلًا :

ـ اسمعوا .. لقد بلّغت رسالتي .. فهل تركتم لي فرصة  
التصريف .. ثلاثة أيام لا أكثر؟ .

رأت لحظة صمت ، بدا الجميع كأنهم يفكرون فيها قاله أو

كأنهم قد وجدوا ضالتهم المنشودة فيها قالوا ، فهم قوم سلام وليسوا أبداً براغبين في إعلان الحرب . وهم يعرفون أن الحروب ليست من خصال الدول المتحضرة أبداً . لذا رفع رئيس مجلس المدينة يده وقال بلهجة حازمة تبدو فيها بعض ملامح التردد :

ـ ثلاثة أيام ، لا أكثر .. هه ..

ـ مط العجوز شفتيه محاولاً أن يبتسم ، وقال :

ـ على بركة الله .. لكن لي طلباً واحداً فقط ؟

( ١٣ )

وفي «مدينة الحكايات» ، كان اللقاء سريعاً . لقد جاء إلى هناك من أجل أن يأخذ المشورة ، ويحاول البحث عن الطريق . بدا اللقاء مليئاً باللوعة والمحبة ، خاصة أن جميع أبناء المدينة يشعرون بالتعاطف الشديد معه فيما هو مقبل عليه ، فلاشك أن هذه هي المرة الأولى في تاريخ الحكايات التي تختفي فيها الألوان جميعها من مدينة بأكملها . قال عترة غاضباً :

ـ الخل الوحيد أن نذهب إلى «المدينة الزرقاء» ونتخلص من «الشبح الأزرق» وأعوانه .  
ـ ابتسم «حكيم» وقال :

- وهكذا تنتهي الحكايات .. يجب فقط أن نواجه شره بالخير . وبلغة الإقناع .

راح عنترة ، يتنهد . كان « حكيم » قد أطلق رشاشا باردا على غضبه الساخن ، وعلت الوجه حيرة واضحة . فلا يمكن الموافقة على اقتراح أن يقوم أحد بمساعدة العجوز في مهمته . لذا قال : - سوف أذهب وحدي .. وسأصحاب بعضا من أبناء المدينتين مثلها حدث من قبل .. حتى يحسوا بأن الأشياء تأتى بسهولة وفجأة ، مثلها ذهبت واختفت .

ثم سكت ، وقام من مكانه وقال :

- أمامي مهمة صعبة والوقت ضيق ، ليس أكثر من ثلاثة أيام . نظر إليه « حكيم » بكل مودة ثم قال : - أهيا العجوز كم أنا معجب بكل .. لذا قررت أن أهديك شيئا . لعله يفيدك في رحلتك . رأه العجوز يمد له بمرأة متوسطة الحجم ، دائرة الشكل . تتمم وهو يسلمهما له :

- خذ هذه .. أنا واثق أنها ستفيدهك في رحلتك الجديدة . نظر العجوز إلى المرأة ، رأى وجهه الذي بدا كأنه نسيه ، وراح يتغرس في تقاطيعه وهو يتذكر كيف كان هذا الوجه يوم أن كان في مدينة البروق الطازج . قال مداعبا :

ـ فعلا . إنها مفيدة .. سأذكر بها وجهى كلما نسيته .

قال « حكيم » :

ـ إنها مرأة مختلفة .. فهى تخزن الذاكرة ..

( ١٤ )

كان العجوز قد طلب من مجلس إدارة مدينة « التفاحة البنفسجية » أن يمدوه باثنين من أبرز الفنانين في مجال الفن التشكيلي .. ولذا فعندما عاد ثانية إلى هناك التقى لأول مرة بكل من مروة وشادي .

كان اللقاء مليئاً باللودة .. قالت مروة :

ـ كم أنا سعيدة أن أكون معك . يسموننى هنا عاشقة الألوان .. السبعة ..

ابتسم العجوز وقال :

ـ ولكن الألوان ثلاثة كما أعرف ..

ردت : الألوان الأساسية ثلاثة . ونشتقت منها بقية الألوان ..

ولذا فإن الألوان التي نراها في قوس قزح عددها سبعة .

سأل العجوز : أراك صغيرة في السن . وأحس ان الرحلة التي أنوى القيام بها ستكون صعبة بل باللغة الصعوبة .

هزت مروة رأسها وقالت : لاشيء صعب على الفنان الذي يعيش فنه . لقد أصابتني صدمة عندما سمعت عنها حديث في مدينة « البروق الطازج » .

تدخل شادي : لقد قررنا أن نساعدهم من خلال الألوان الصناعية .

كان من الواضح أنه يتكلم عن سكان مدينة « البروق الطازج » .. رد العجوز :

- لقد فقدوا كل شيء . الألوان الطبيعية والصناعية .. عدا فريق الألوان الذي عليه أن يضبط الزمن في المدينة .

سأل شادي : ماذا تعتقد أن علينا أن نفعل ؟ .

راح العجوز يفكر، ثم قال :

- سوف نذهب إلى بناية الألوان الثلاثة ..

سألت مروة : وأين تكون ؟

شرد قليلا قبل أن يقول :

- إنها بعيدة .. ربما أبعد مما يتصور أي إنسان ..

كان من الواضح أن العجوز يحاول أن يثير التردد في قلبي كل من مروة وشادي اللذين كما عرف لا يتصوران أبدا أن الحياة يمكن أن تستمر بدون ألوان .

(١٥)

سرعان ما ظهر على الشاشة ماردده «الشيخ الأزرق» :  
- إنه يود المغامرة من جديد . . . هذا العجوز الأشيب . .  
بدأ قلقا ، وفي ملامح وجهه انعكست مشاعر الغضب ،  
فها هو قد عرف أن العجوز يستعد مجددا من أجل القيام بِمغامرة ،  
وأنه سوف يحاول الوصول بأى ثمن إلى بناية الألوان الثلاثة :  
الأحمر ، الأزرق ، الأصفر ، وأنه لو أمكنه أن يفعل ذلك ،  
فسوف ينبع فعلا في استعادة الألوان إلى مدينة «البرقوق الطازج»  
وهو ، بذلك سيكون قد عمل على إفشال خططه الجهنمي .  
بدت الكلمات بارزة على الشاشة :

- أبدا . لن ترى المدينة ألوانا بعد الآن . . . أى لون . .  
نظر أتباعه إلى بعضهم البعض . وهس أحدهم في أذن الآخر :  
- الرحلة صعبة ، ولا يمكن لأحد أن يصل إليها ، منها كانت  
قوته ، حتى الفارس النادر نفسه .

رد زميله : ولذا فالشيخ الأزرق يفكر في أن يضع العرقيل  
الحقيقة كى يمنع وصوله إلى هناك .

نظر الشيخ إلى أعقانه وأحس أنهم منشغلون عنه ، وسرعان ما  
اصطكَت جوانب الشاشة الالكترونية التي تظهر عليها كلمات



«الشبح الأزرق» كلما نكلم . وجاءت كلماته الجديدة :  
- سوف نفجر ينابيع الألوان . . كل الينابيع . .  
تقتسم المساعد الأول : ياه . . إنه أمر خطير . . حتى اللون  
الأزرق .

أصاب الصمم المكان ، وبذا الشبح الأزرق كأنه يفكير في الأمر  
بجدية ثم جاءت كلماته الغاضبة :  
- حتى اللون الأزرق .

سأل مساعدته « الداكن » : لكن . . هذا . .  
بذا متربدا ، خائفا ، ووجلا ، فهو لا يريد إغضاب زعيمه .  
وهو يعرف أن تدمير الينابيع الزرقاء سوف ينعكس حتى على المدينة  
الزرقاء ، التي يعيشون فيها ، والتي لم تعرف يوماً أى لون آخر ،  
ولاشك أنه باختفاء اللون الأزرق سوف تدخل أشعة الشمس  
وتنتهي المدينة إلى الأبد . ومن جديد ، قال « الشبح الأزرق » كلماته  
التي انعكست على الشاشة :

- سوف أدمي كل الألوان . . وأوها اللون الأزرق . .

(١٦)

خرج الثلاثة في الليل من المدينة ، وفي سرية تامة ، حتى

لايكون خروجهم سيبا في إثارة أى غضب من الناس . فلاشك أن لكل أسرة فردا موجودا الآن رهينة في مدينة « البرقوق الطازج » ، ورغم ما يلقاه العجوز من احترام وتقدير في مدينة « التفاحة البنفسجية » فإن الناس لا يمكنها أن تنسى أنه في لحظة واحدة ، انغلقت أبواب مدينة « البرقوق الطازج » دون أن يعرف أحد متى ستقع مرة أخرى أمام الناس .

ورغم أن بعض الأخبار تسربت إلى الناس بأن هناك محاولة للتفاهم مع مدينة « البرقوق الطازج » فإن أقاويل كثيرة كانت تؤكد أن الألوان لن تعود أبدا إلى المدينة وأن الأبواب لن تفتح إلا كى يخرج منها المحاربون الأشباح ليقاتلوا وقد فقدوا أغلى شيء لديهم ..

وعند بوابة المدينة ، وقف العجوز ومعه مروة وشادى . وقد استعدوا للسفر إلى مجهول حقيقى لا يعرفونه ، فلا أحد يدرى أين توجد ينابيع الألوان . ورغم ذلك فإن العجوز راح يفكر في شيء آخر ، فكر في أن عليه العودة بالضبط خلال ثلاثة أيام . ليس فقط قبل أن تندلع الحرب الضاربة بين المدينتين اللتين تورطتا فجأة في صراع محموم ، ولكن لسبب آخر تماما ، راح يعبر عنه وهو يقول مروة وشادى :

— تقول الأرصاد الجوية إن السماء ستمطر بشدة فوق مدينة  
البروق الطازج في اليوم الثالث من الآن . .  
ومسرعان ما أدركت مروءة ماذا يقصد العجوز ، بهذه الكلمات  
فقالت :

— آه . . هل تقصد قوس قزح ؟ . .  
هز العجوز رأسه ولم ينطق بكلمة . كان يحمل مخلة التي  
يستعين بها في مثل هذه المغامرات ، والتي تضم الكثير من الأدوات  
والمعدات التي تساعد أثناء الرحيل ، خاصة تلك المرأة الذاكرة التي  
قدمها له « حكيم » ، مؤكدا أنها سوف تفيده . .

قال العجوز :

— أول شيء هو أن نتحول إلى مخلوقات شفافة بلا لون كى  
نختفى ولا يرانا أحد . .

سأل شادي : لكن كيف يمكن أن نفعل ذلك . ؟  
فجأة سمع الجميع صوتا غريبا ينطلق وسط الظلام ، ويسأل :  
— ولماذا تختفون . . بل ولماذا ترحلون ؟

(١٧)

هتف العجوز :



- من؟ عائشة ١١

اقربت عائشة في الظلام من العجوز ، وراحت تصافحه ،  
وهي تسمعه يقول :

- كنت أعرف أنك لن تتأخرى عن الحضور معنا .

أشارت إلى زميلها الذي ظهر وسط الظلام وقالت :

- وأيضاً مصطفى . . لقد جاء لينضم إلينا . .

وراح الجميع يتبادلون التحيات . قال مصطفى :

- أعرف أن هذه الرحلات تحمل الكثير من المخاطر . . لكن  
لایمکن أن تتأخر . . فالامر جد خطير .

سأل العجوز ، موجهاً كلامه لكل من مصطفى وعائشة :

- هل هربت؟

ردت عائشة بكل ثقة : لا ، بالطبع ، ولكننا طلبنا الإذن  
بالخروج من رئيس مجلس الإدارة . ولم يتردد . إنه رجل يحب  
السلام . ورافقتنا حتى خرجنا من المدينة وطلب منا أن نرسل لك  
التحية . .

سكتت عائشة قليلاً ، ثم وجهت كلامها إلى مصطفى ،  
وقالت :

- أخبرهم ، كيف كان حالنا ، ونحن نرى اللون الأسود لأول

مرة ، خارج المدينة ..

تدخلت مروة :

- لكن الأسود ليس لونا .. إنه يتركب من كافة الألوان ..

قال شادي : أى إنه تداخل لكل الألوان ..

هذت عائشة رأسها يمينا ويسارا ، وقالت :

- حتى الأسود ، أصبحنا محروميين منه في المدينة ، لا ليل ، ولا نهار .. لاتصدق أى فرحة شعرت بها وأنا أرى اللون في الليل ..

وزاد إصرارنا أن نستعيد الألوان بأى ثمن .. بأى ثمن ..

بدا صوتها شجيا .. و مليئا بالأسى ، والشجن ، وترك أثره في كل الذين وقفوا في الظلام يستعدون للمغامرة ، وراح كل منهم يمسك بيد الآخر ، وكأنهم يغدون معالذل المجهول الذى يتظارهم ، والذى هم مقبلون عليه ..

( ١٨ )

كان الأمر كأنه المجهول فعلا ، خاصة بالنسبة للعجز ، فهو في بداية الرحلة لا يعرف إلى أين يذهب ، ولا ما هو الطريق الصحيح .. ورغم أنه ترك للزملاء الجدد القرصنة للتتعرف على بعضهم البعض ، فإنه حاول أن يفكر .. فلاشك أن أغلب الأشياء

التي في مخلة البيضاء لا يمكن أن ترشده إلى الطريق .  
وفجأة ، قرر أن يسير في الصحراء المترامية أمامه على غير  
هذا ، رغم أن الليل يفرد أستاره ، فإنه لم يعرف إلى أي جهة عليه  
أن يتوجه ، وراح يردد :

ـ الصحراء دائمة وراءها صحراء أخرى . وخاصة هنا .

ويمكنا أن نضيف ، مهما كان معنا من أجهزة رصد ..  
راح يستمع إلى أصوات الزملاء الأربعـة ، وكأنه يحس بالنـدـم ،  
لأنه سوف يورطـهم معـه في مغـامـرة غير مـأـمـونـة .. ثم قـرـرـ أن يـقـطـعـ  
ذلك التـرـددـ والـقـلـقـ ، بـأـنـ قـالـ :

ـ هـيـاـ يـاـشـابـ .. إـلـىـ الطـرـيقـ الـأـنـ ..  
وـأـحـسـ الشـبـابـ أـنـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـبـدـءـواـ الـمـغـامـرـةـ .ـ تـسـأـلـتـ  
عـائـشـةـ :

ـ هـلـ سـنـصـبـ شـفـافـينـ فـعـلاـ ؟  
وتـذـكـرـ أـنـهـ كـانـ قـرـرـ أـنـ يـجـعـلـ كـلـاـ مـنـهـمـ يـدـهـنـ نـفـسـهـ بـالـلـوـنـ  
الـشـفـافـ ،ـ حـتـىـ يـسـهـلـ اـخـتـفـاؤـهـ فـيـ الصـحـرـاءـ مـنـ كـلـ الـحـيـوـانـاتـ  
الـمـتـوـحـشـةـ الـتـيـ يـمـكـنـهـ أـنـ تـظـهـرـ ..ـ هـنـاـ قـالـ :

ـ رـبـاـ ..ـ لـكـنـاـ سـرـكـبـ الـبـاسـطـ الـاـلـكـتـرـوـنـىـ ..ـ  
سـأـلـتـ مـرـوةـ :ـ إـلـىـ أـينـ ..ـ ؟

رد العجوز : إلى الينبوع الأول .. ينبع اللون الأزرق ..

سؤال شادي : أين هو ؟

تلعثم وهو يقول : إنه هناك .. سوف نراه من فوقالبساط  
الالكتروني ..

ورغم أن الزملاء قد صدقوه ، فإنه لم يكن واثقاً في ذلك . كان  
عليه فقط أن يغادر تلك المنطقة بأى ثمن ، وأن ينطلق ، مجرد أن  
يبدأ وينطلق .

ثم راح يمد يده إلى مخلة البيضاء كى يخرج السجادة الطائرة ..  
ووسط الظلام رأى الجميع شيئاً يلمع ، افترشه العجوز فوق  
الأرض .. وسمعواه يقول :

- هيا بنا ، ستنطير في الجو خلال ثوان قليلة ..

وفجأة سمعوا صوتاً غريباً من أعلامهم ، كان طائراً ضخماً  
يحاول أن يحط فوق الأرض ، راح يرفرف بجناحيه القويين . وهو  
يحرك الرياح من أسفله مما يؤكّد على مدى ما يتمتع به من ضخامة .  
هتفت مروة :

- يا إلهى .. ما هذا ؟

(١٩)

سرعان ماجاء صوت من أعلى قليلاً ، يردد بكلمة حزينة ، تثير  
الإشفاق :

ـ السلام عليكم .. لاتقلقا ، فأنا رحاو بن رخاو بن رخاو ..  
بذا الأمر غريبا ، وشاهدوا شبيحا ضخما يحاول أن يسد الليل  
بجناحيه القويين ، المتعدد الألوان بشكل يلفت النظر ، حتى  
في حلقة الليل الشديدة ، صاحت عائشة :

ـ إنه طائر .. يتكلم ..

جاء صوت الطائر يقول : أنا لست طائرا .. بل أنا الرخ  
المعدل ..

بذا الاسم غريبا ، الرخ المعدل .. ترى ماذا يكون حقا ؟ وقبل  
أن تنطلق التساؤلات من الزملاء ، ظهرت بقعة من الضوء أسفل  
الرخ المعدل ، مالبثت أن انتشرت من حوله فظهر بشكل جل  
وواضح .. ياله من منظر مثير ، فهو عبارة عن مجموعة من  
المكونات المألوفة ممزوجة معا . فوجده وصدره ييدوان كأنهما إنسان  
فتى ، بالغ القوة والشباب ، أما جناحاه القويان فإنهما موجودان  
أسفل ظهره ، يرفرفان كأنهما يستعدان للطيران في أى لحظة ، أما  
قدماه فأشبه بقدمي كتكوت ضخم ، مليئين بالرغب . قال :

- كما ترون . فلست بشرًا ، ولست طائرا ، ولذا أفضل أن يكون  
أسمى الرخ المعدل ..

سأل العجوز :

- وأين بلادك يارخاو .. ؟

هز رخاو رأسه في أسى ، وقال :

- ربما لن يعود لنا بلاد بعد اليوم .

سألت مروة : ماذا تقصد .. ؟

بنفس اللهجة الحزينة تتمس : إنهم الجنود الزرق .. كادوا أن  
يذمروا بلادنا ..

بدأ رخاو كأنه ينطق بكلمات غامضة مبهمة ، فمن يكون  
الجنود الزرق ؟ .. لم يفهم أحد ماذا يقصد الرخ المعدل سوى  
العجز ، الذي قال :

- هل هاجروا مديتكم .. وain هم ؟

أحس العجوز أن هناك شيئاً ما بالغ الأهمية سيكون في إجابة  
الرخ المعدل ..

(٢٠)

وانطلقت جيوش المدينة الزرقاء نحو هدفها الذي جاءت من

أجله ، تدمر كل شيء أمامها . إنهم ذاهبون إلى مهمة انتشارية ، وأنهم سواء عادوا منها سالمين أم مهزومين ، فسوف تكون هذه نهايتهم . لأن عليهم أن يدمروا كافة البنية الزرقاء . حسبيا جاءتهم الأوامر .

ولأن عليهم ألا ينافسوا ، فقد اندفعوا فوق جيادهم الشبحية إلى بقعة البنية الزرقاء من أجل تدميرها . قبل أن يتمكن أي شخص من الوصول إليها ، ولاشك أن هذا سوف يجفف كل الألوان الزرقاء في العالم ، والتي عليها أن تندمج مع الزمن ، من كل بقاع الأرض .

وانطلق الجنود إلى بقعة البنية الزرقاء ، ولديهم خطة محددة ، هي زراعة الألغام حول البنية ، حتى إذا اقترب منها أي شخص ، انفجرت ، وتحول المكان كله إلى كتلة من الدمار الذي لا مثيل له .

وراح الجنود يفسدون في كل الأماكن التي يمرون بها ، غير آبهين بالآثار التي يتركونها وراءهم . حتى فوجئوا أنهم قد دخلوا بلاد الرخ المعدل .

لم يكن في بلاد الرخ المعدل سوى مجموعة قليلة من آخر سلالة هذا المخلوق الفنطازى النادر ، الذى بدأ ينتشر في الفترة الأخيرة



بعد أن أصبح عليه التأقلم مع التغيرات المناخية التي شهدتها العالم في الأونة الأخيرة .

وأمام هذه الظروف القاسية التي أحس بها أبناء بلاد الرخ المعدل ، كان من المهم التصدي لكافحة الجيوش المغيرة خاصة القوات الزرقاء .

إذن ، كان لابد من مواجهة حاسمة بين المائة رخ المعدل الباقين على قيد الحياة ، وبين القوات الزرقاء التي راحت تحاصر البلاد وهي تطلق أسلحتها الإشعاعية التي تسربت إلى دهاليز المدينة وختفت بعضا من الرخ الذي فقد وعيه ، بل إن البعض قد نفق فعلا .

وعندما انتهت المعركة كان عدد أفراد الرخ المعدل قد بلغ خمسة وسبعين رخا ، والذين نجحوا في أسر عدد لابأس به من الجنود الزرق .. بينما أفلت البعض الآخر ، والذى يبدو أنه توجه إلى هدفه الذى بُرمج من أجل تحقيقه .

(٢١)

وسط الظلام الدامس ، جلس الجميع يستمعون إلى قصة الرخ المعدل وماحدث لابناء عشيرته على أيدي الجنود الزرق ، بدا الأسى واضحا على هجته ، وفهم الزملاء سر تلك اللعنة الحزينة التي

بدت في كلماته حين سمعوه يتكلم لأول مرة .

هنا هتف العجوز :

- هذا هو أول الطريق .. رخاو يعرف أول الطريق ..

سألت عائشة : ماذَا تقصد ..؟ ..

رد العجوز : الكارثة ستكون جسيمة لو وصل هؤلاء الجنود  
الأشرار إلى اليابس العذراء ..

قال مصطفى : لعلهم وصلوا ..

رد رخاوا : أعرف كيف أصل قبلهم ..

رفع العجوز رأسه إلى الرخ العملاق ، وسألة :  
- هل في إمكانك ..؟ ..

أجب رخاو من جديد : يجب أن أثار لبناء وطني .. وأن  
أخلص الكون من هؤلاء الأشرار .

تمت العجوز : إذن علينا أن نرحل فورا .

رفف الرخ بجناحيه قبل أن يطير كأنه يستعرض قوته ، وقال :  
- سوف أحملكم جميعا على جناحى وأطير ..

قال العجوز : بل سنطير معك في البالون السلوفان ..

وبسرعة أخرج من مخلاه البيضاء علبة صغيرة ما إن فتحها وسـ  
الظلام حتى تحولت إلى بالونة بلورية لامعة ، انفتح في أطراـ

باب ، هنا أشار العجوز إلى الزملاء الأربع : ..

- هيا ادخلوا .. بسرعة ..

وكان عليهم أن يدخلوا قبل أن يغلق الباب . وفي لمح البصر ، رفرف الرخ المعدل ، ثم طار ، وأمسك بقدميه طرف البالونة . ثم بدأ يخلق في الفضاء ..

ووسط هذا الجو المظلم ، بدا المنظر بديعا . خاصة أن أشعة متعددة الألوان راحت تسكب من حول الرخ المعدل ، وأخذت تنعكس على البالون المصنوع من السلفون .

(٤٤)

وبدأت الرحلة المثيرة ..

إنها رحلة سباق حقيقي مع الزمن . ففي تلك اللحظات ، كانت هناك جحافل هائلة من جنود يرتدون اللون الأزرق ، لا تبدو منهم سوى عيونهم الحمراء التي تثير الخوف في القلوب . راحت هذه الجحافل تتحرك فوق الجياد الرهيبة من أجل الوصول إلى الينابيع الزرقاء من أجل زرع الألغام .

كانوا قد غادروا بلاد الرخ المعدل ، ولم يعرفوا أن في أعقابهم الآن واحدا من شباب هذا الرخ وقد قرر أن ينتقم منهم ، مهياً كان

الثمن ، فقد شارك في المواجهة الساخنة التي اندلعت بين الفريقين ثم نجح في القبض على الكثير من الجنود الرماديين ، واستطاع أن يعرف لماذا هذا الهجوم البربرى المتوجه الذى لا معنى له ولا تبرير بالمرة .

إنهم الآن ينطلقون حاملين معهم تلك المشاعر الشريرة باثارة الرعب في العالم ، وذلك بأن يعملا على تدمير البنية الزرقاء .

إنهم ينطلقون بكل قوة وشراسة وهم يدركون أن قوة واحدة في العالم لن يمكنها أن تقف في مواجهتهم ، ولا أن تصدهم . خاصة بعد أن انتصروا على الرخ المعدل . وقتلوا عددا من سلالته .

ومع تبشير الفجر ، كان الجنود قد اقتربوا من هدفهم البعيد ، وقف زعيمهم فجأة بجواهه الشبحى ، ونطاع إلى التل المائل أسفل وقال :

ـ آه .. هنا تكمن البنية الزرقاء ..

راحـت بقية الجنود الرماديين تنظر في دهشة وخشوع ، كأن عليهم أن ينـحنوا أمام هذا المنـظر الخـلاب ، فهـنا منـبع لـونـهم المـفضل الذـى اختـارـوه رـمـزاً لـمـديـتهم الشـرـيرـةـ الخـالـدـة .. هنا لا يمكن لـشـمـسـ أن تـشـرقـ ولا يمكنـهاـ أنـ تـغـربـ ، وـهـنـا يـمـكـنـ لـكـافـةـ الـأـلـوـانـ أنـ تـذـوبـ فالـلـوـنـ الـأـزـرـقـ يـحـمـلـ درـجـاتـ عـالـيـةـ منـ بـيـنـ كـافـةـ الـأـلـوـانـ . وـهـوـ

جذاب للعين بدرجاته المختلفة وهو لون السماء والبحار في بلاد الشجر.

فجأة تتم قائد الجنود بكل قسوة :  
- سوف نذيرها .

ثم هفت في داخله بكل ضعف : وأيضا سندمر أنفسنا . .

(۲۴)

كان عليهم الطاعة . والطاعة العبياء . فأقصى درجات الامتثال هو أن ينفذ المرء الأمر دون أن يسأل عن نتائجه ، حتى ولو كان في ذلك حياته . وأمام أوامر الشبح الأزرق كان على الجميع أن يستثنوا منها كان الخطر . .

لم يكن الأمر مفهوماً بالمرة . . فلماذا يسعى الشبح الأزرق إلى تدمير تلك الينابيع الزرقاء . . بدا التفسير الوحيد في ذلك أنه في اللحظة الأخيرة سوف ينغمس في ينابيع أخرى هي الينابيع الحمراء وسيتحول إلى اللون الأسود القاتم ، ليتحول إلى كائن مختلف ، أشد سوداوية وشرورا .

صاحب قائد الجنود الزرق :

وانطلق زارعوا الألغام في الوادي الذي يحيط بالينابيع الزرقاء  
ويكمل مهارة راحوا يدفونون ألغامهم التي عليها أن تنفجر في الوقت  
المناسب .

كان الوادي غريبا في شكله . فهناك في منتصفه ينسال شلال  
من الألوان السائلة الشديدة الزرقة ، التي تندفع بدورها في مجرى  
مائى بقعة هائلة ، ثم تصب داخل الوادي في قنوات صغيرة قبل أن  
تحتفي من تحت سطح الأرض . ومن البادى أنها تتسرب إلى بقية  
بقاء الدنيا .

بدت عملية زرع الألغام وهى تدور على قدم وساق ، بالغة  
السرعة وكأنهم في سباق مع الزمن ، فحسب الأوامر التي جاءت  
إليهم ، فمن اللازم زرع الألغام ثم سرعة الابتعاد عنها وتفجيرها  
بواسطة مفجرات خاصة من مسافة بعيدة .

قال قائد الجنود عندما رأى العمل يكاد ينتهى :

ـ هيا .. باق من الزمن ثوان ..

ورغم الصلابة والخزم اللذين بدوا في صوته فإنه كان شخصيا  
يتمنى ألا تمر هذه الثوانى ..

ومع ذلك مرت الثوانى سريعة كالعادة ، واستعدت جحافل  
الجنود للانسحاب . ولكن فجأة ظهر شيء لم يكن في الحساب ..

في بداية الأمر لم يعر أحد انتباها لذلك الرخ الذي حظ من السهام حاملا معه تلك البالونة البلاستيكية التي يوجد بداخلها خمسة أشخاص يبدو أنهم لا يضرر منهم، فهم ليسوا سوى أربعة من الشباب صغار السن ورجل عجوز.

هنا صاح أحد الجنود :

ـ أقتلوه مثلما حدث لأقرانه ..

و قبل أن يتنهى الجندي من جملته كان الرخ المعدل قد وضع البالونة البلاستيكية فوق الأرض، وأسرع نحو قائد القوات الزرقاء يلتقطه بمخالبه القوية .. ويرتفع به إلى أعلى وسط دهشة الجميع وصرخاته في جنوده ..

ـ أطلقوا النيران على هذا الرخ .. وإلا ..

تحركت الأحداث بسرعة ولم يكن القائد في حاجة إلى أن يأمر جنوده، فقد استعدوا بالفعل لإطلاق أشعتهم القاتلة على الرخ الذي اختطف قائدتهم بسرعة، ولم يكن لأحد أن يجرؤ على فعل ذلك عقب الخسارة التي منيت بها عشيرته.

وعلى وجه السرعة أيضا راح العجوز يمسك مرأة الذاكرة، وأخذ يفرد لها بين يديه حتى أصبحت في ثوان قليلة أشبه بالقرص الدائري الضخم «الدش» الذي يستخدم فوق العمارت العالية.

وبيّنها راحت المرأة العاكسه تكبر بين يدي العجوز، كان هناك انسلاخ ملحوظ يتحرث في جسده فانتفخت عضلاته ، وحل الصبا محل الشيخوخة ، ودبّت القوة في ساعديه ، وراح بكل سرعة يدير المرأة ذات اليمين وذات الشهال ، كأنها ليتأكد من أنها سوف تتحرث معه بسهولة حسبما يشاء . . هنا صاح والجنود يستعدون لضرب «رخاو» بأسلحتهم الإشعاعية :

-أيها الأوباش ، انظروا إلى هنا . .

بدأ صوته جهوريًا . ملئتني بالمهابة والقوة ، مما لفت انتباه الجنود فالتفتوا إليه ، وكلهم شعور بالسخرية والكبرياء . .  
ولكن فجأة حدث مالم يكن في الحسبان . .

( ٢٤ )

راح «الفارس النادر» الذي انسلاخ من الرجل العجوز يضبط مرآة الذاكرة من خلال أزرارها البالغة الدقة على منطقة أشعة الشمس الحارقة التي أمكن لهذه المرأة أن تسجلها في ذاكرتها عندما تم تعریضها للشمس لساعات طويلة في يوم حار ارتفعت درجة حرارته قرابة الخمسين درجة . واستطاعت أن تكشف هذه الحرارة وأن تخزنها رغم شدتها وقوتها .

وعلى الفور انطلقت من قرص المرأة أشعة قوية براقة اتجهت نحو الجنود الزرق الذين لم يمكنهم حتى أن يشعروا بالخوف والرعب، فقد كانت الأشعة أسرع مما يتصور المرأة . أو ان ترصد ها العيون . وسرعان ما انطلق الصراخ في المكان ، بينما اندفعت الأشعة نحو هذه الجنحافل من الجنود الزرق . . فحاولوا الهرب ، أو أن يغلقوا أعينهم الحمراء ، ولكن الأشعة بدت شديدة القوة وراحت تكتسح أمامها كافة الألوان . فتجعلها باهتة بعد أن كانت لامعة براقة ونجحت أشعة الشمس المتعكسة في ذاكرة المرأة على أن تؤكّد اللون الأزرق وأن تجعله ، باهتة حتى أصبح ليختيل للمرء أن هذه الأشباح التي كانت زرقاء قد أصابتها العنة ، والزمن ، منذ حقبة طويلة .

راح «الفارس النادر» يدبر قرص المرأة الضخم بكل قوة ومهارة ولم يكن لأحد أن يفعل ذلك إلا من خلال عضلات مفتولة ومهارة نادرة ، بينما تکوم الجنود فوق الأرض بعد أن تخلصوا من كافة أسلحتهم .

لم تدم تلك المعركة الغريبة أكثر من خمس ثوان لاكثر . تمكّن خلالها «الفارس النادر» أن يجعل أشعة الشمس الحارقة تتمكن من كافة هؤلاء الجنود الأشرار الذين نجحوا بدورهم في زرع الألغام في منطقة الوادي .



هنا صاح الفارس النادر موجهاً كلامه إلى الرخ المعدل :

ـ رخاو .. هؤلاء هم أسراك .. فافعل بهم ماتشاء ..

كان رخاو في تلك اللحظات يطير على مسافة قرية من الأرض  
وهو لا يزال مسكاً بالقائد الأزرق الذي همس في داخل نفسه وهو  
يرى ما حدث لجنوده في لحظات قليلة : « مصيبة أخف من  
أخرى » .. هنا قال « رخاو » من علياته :

ـ أيها الفارس . أشكرك باسم بلادي .. موطن الرخ المعدل .

وسرعان ما امتلأت السماء بالعديد من أبناء الرخ المعدل الذين  
بدت أجسامهم بالغة الضخامة والقوة ، كأنها جاءوا ليستلموا  
أسرابهم على وجه السرعة .

(٢٥)

قال « رخاو » وهو يصافح « الفارس النادر » وزملاعه الأربعة :

ـ القانون الأعلى للفنطازيا يحتم على أن أبيقى هنا . وألا أنجاوز

هذا المكان خطوة واحدة .

ابتسم شادي وهو يقول :

ـ كان بودي أن تكون معنا فنحن بحاجة إلى كائن رشيق

مثلك .

ربت «رخاو» بجناحة الأيمن على كتف شادى ، وقال :  
ـ في عالم الفنطازيا هناك دائماً مخلوقات كثيرة . تثير الدهشة .  
رحلة ممتعة .

ثم راح يستدير وهو يلوح بيديه . هنا جاء صوت القائد الأزرق  
من داخل قفصه الذي حمله اثنان من الرغ المعدل وهما يستعدان  
للطيران به إلى مجهول :  
ـ أيها الفارس .. لاتفرح كثيرا .. وبعد قليل ستقابلك  
المفاجآت المثيرة ..

لم يرد «الفارس النادر» بكلمة .. فهو يعرف إلى أي شيء هو  
مقبل الآن .. إنه يعلم أن منطقة الوادي مزروعة بالألغام ، وأن  
عليه أن يكشف عن أماكنها . وأن يتخلص منها في الوقت  
ال المناسب .

إنها منطقة ألغام ، تلك المزروعة أمامه الآن فعلا ..  
لكن أي ألغام هي ؟ من أي نوع ؟ ذلك مالا يعرفه بالضبط .  
لذا وقف الجميع يتأمل المشهد أمامهم . كان الوادي واسعاً في  
نهايته الشلال الذي يتتساقط منه سيل اللون الأزرق . نظر الفارس  
إلى الرفاق الأربعه قائلا :  
ـ إنه منظر جميل ، أليس كذلك ؟

هز الجميع رؤوسهم وجاء صوت مروءة : الأزرق دائمًا لوز جمبل . لكن جمال الألوان هو أنها تتناسق معا .. ولا يمكن أن نعيش بلون واحد فقط ..

كانوا جميعاً وسط الأحداث السريعة التي مرت قد تجاوزوا الدهشة حين رأوا العجوز يتحول إلى «الفارس النادر» فحسب المغامرات السابقة ، فإن كلاً من عائشة ومصطفى يعرف ذلك تماماً أما مروءة وشادي فلعلهما قد عرفا بالأمر من خلال همسة عائشة حين قالت في بداية الرحلة : «هذا العجوز رجال في رجال واحد» .  
بدا الفارس ، كأنه في حالة استغراق شديد ، وهو يفكر في أنساب وسيلة لاجتياز منطقة الألغام .. ثم تنتهي فجأة :  
- لا يوجد سوى حل واحد ..

(٢٦)

كان يعرف أن البساط الإلكتروني لا تفي في مثل هذا الأمر ، فما أسهل أن يركب البساط وينطلق نحو بؤرة الينبوع ، ويلتقط من هناك نقطة واحدة مركزة يضعها في أنبوبة مجهرة لهذا الغرض ، ثم يعود مرة أخرى إلى منطقة الأمان ويكون ذلك قد ضمن أنه قد حصل على اللون الأزرق .

لا ، فلاشك أن المنطقة كلها في خطر ، والألغام يمكنها أن تتفجر في أي لحظة خاصة لو كانت ألغاماً مؤقتة . لذا فمهمته الحقيقة ليست الحصول على نقطة من اللون المركز ، ولكن تأمين هذه المنطقة الحساسة .

دس يده في مخلة البيضاء ، وسرعان ما أخرجها مرة أخرى وراح يمد للزماء بملابس غريبة الشكل مصنوعة من النايلون الشفاف القوى قائلاً :

ـ ارتدوا هذه الملابس . بسرعة .. وغطوا رؤوسكم .  
لم يتردد الأربعة في أن يسمعوا كلماته وأن يطيعوه . لكن عائشة قالت :

ـ لكن النايلون سيكتم أنفاسنا ..  
لم يكن الفارس النادر في حاجة أن يرد عليهما ، فما إن وضعتها على رأسها حتى أحسست كأنها في غرفة مكيفة الهواء ومزودة بغاز الإكسجين ، وشعر الآخرون بالارتياح . ثم استعدوا جيعاً للسير فوق منطقة الألغام .  
هنا يتجسد الخطر ..

فترى أين توجد الألغام حقاً؟ وما هي نوعيتها؟ هل هي قنابل يمكنها أن تتفجر في أي لحظة ، أم شيء آخر مختلف؟ لا أحد

يعرف بالضبط ماذا يكون ..

سار «الفارس النادر» في المقدمة . ومشى الرفاق في أثر خطاه بالضبط فالألغام يمكنها أن تترع في أي مكان ، ويمكن لشخص إلا يدوس فوقها . لكن هذا لا يمنع أي شخص آخر يمشي إلى جانبه بستمترات قليلة يمكنه أن يطأ فوقها .. وتفجر فيه .. راحت القلوب تتحقق بشدة . ومن وقت لآخر ، كان شادي ينظر إلى مروءة ويمط شفتيه مبتسمًا كأنها ليؤكد أنه أبداً ليس بخائف .

ومشى الخمسة وسط حقل الألغام المزروع في الوادي بخطى قلقة مليئة بالاضطراب ، لكن فجأة صاح مصطفى :  
- انظروا .. إنه ينفجر ..

(٤٧)

فجأة داس «الفارس النادر» فوق زر لغم غير واضح في الأرض وسرعان ما تدفق بركان هائل راح يرتفع به في السماء وهو يشرح حوله كمية من البنزول القابل للاشتعال في أي لحظة ..  
يا إلهى .. إنه اللغم الأول . إنه بالغ البشاعة والقوة .. يرتفع نحو السماء كأنه قذيفة أطلقتها مدفع عملاق ليس له مدار نهاية ..

وها هو يدفع أعلاه بجسد الفارس النادر الذى لم يستطع أن يتوازن  
في البداية ..

إنه لغم بشع ، وماكر ، ولثيم ..

فلاشك أن انفجاره هنا سيلوث المنطقة ، وسيجعلها قابلة  
للاشتعال في أي لحظة وسيفقدها بكارتها وبراءتها .. اندفع الرفاق  
للخلف ، قليلا ، وارتموا فوق الأرض ، وهم يرون الغاز يتدفق إلى  
أعلى ..

لكن ، فجأة توازن «الفارس النادر» فوق طرف الأنبوية المتتدقة  
وكانه يقف فوق أرض صلبة وراح يضغط بكل قدمه على الأنبوية  
كانه يحاول أن يرفعها عن الأرض مرة أخرى بكل ما ولهه الله من قوة  
وعزيمة .

بدت المواجهة مليئة بالصرامة والتحدي ، فالغاز المتتدق يسعى  
أن يرتفع لأعلى بأى ثمن محاولا الوصول إلى اليابس من خلال قوة  
القذف ، أما «الفارس النادر» فقد سعى بكل قوته أن يضغط  
بقدميه لإعادة السائل إلى النقطة التى انطلق منها ، وهو في أشد  
الحرص ألا تسقط نقطة واحدة فوق الأرض فتلقت اللون الأزرق أو  
تغير من درجاته ونقائه .

صاحب بصوت انطلق إلى السماء :

ـ اعتمد عليك يارب ..

وراح يضغط وبكل قوة وأخذ يقاوم السائل المتدفق ، وأحس أنه سوف يغلب حتماً ثم هتف للمرة الثانية . وبكل ما امتلك من عزيمة ، دفع السائل أسفل قدميه وأحس بأنه بدأ يمثل له فعلاً .

كانت لحظات رهيبة مليئة بالمواجهة والإرادة والعافية ، أحس كأن البترول الغاز التي تدفقت لتحول المكان إلى جحيم ، قد أصبحت طيعة بين يديه . وبدأت تتراجع محاولة العودة إلى ينبوغها في الأرض مرة أخرى . . وبالفعل بدأت تتقهقر إلى أسفل ولكن بصعوبة شديدة . .

(٢٨)

صاحب «الفارس النادر» ، وهو يدوس بقدمه القوية على طرف اللغم :

ـ بسرعة ، احفروا حول قدمى .. فهنا يكمن اللغم .  
ـ وأقرب الرفاق الأربعة من قدم «الفارس النادر» ، وراحوا ينظرون إليها وقد امتلأوا بمشاعر مضطربة ، فلم يسبق لهم أن قاموا باصطياد الألغام ، لكن نظرات الفارس إليهم ومارأوه قبل قليل

وهو يجاهد بكل مایملک جعلتهم يسرعون ويحفرون حول اللغم .

صاحب وقد بدت حروف كلماته واضحة ، وهادئة :

- برق وبلا خوف .. هه .. هيا .. لنغن معا ..

وفوجئ الرفاق الأربع به يعني :

أيها الأزرق الكبير ..

إنى أغنى لك ..

راح يكرر الأغنية عدة مرات ، بدا صوته أجشن ، لا يصلح بالمرة للغناء وقد يصيب المستمعين بالنفور ، لكن الشيء الوحيد الذى بدا فيه جميلا هو حماسة الذى انتقل إليهم بالتالى فوجدوا أنفسهم ينشدون معه . راح يطيل فى ايقاع الألحان ، ثم يقصر مما أصابهم باللحيرة وهم يغنوون :

فجأة صاح شادى :

- ها هو اللغم ..

كانوا قد نجحوا فى كشف اللغم بعد أن راحوا يحفرون حوله ، وبدأ أخيرا كاملا بشكّل الغريب . إنه أقرب إلى مصباح علاء الدين ، له فوهه تدفق منها السائل الذى كان يمكنه أن يشتعل فى أي لحظة ، وأن يحول المكان إلى كتلة متفجرة من النيران .

(٢٩)

تنهد الجميع بارتياح . وهم يرونـه يتمـكن من اللـغم الأول .  
هـلـلـوا جـمـيـعا . بـيـنـها وـقـفـ يـنـظـرـ إـلـيـهـمـ وـهـوـ يـنـهـدـ كـأـنـهـ قد قـامـ فـعـلاـ  
بعـلـمـ خـارـقـ . ثـمـ قـالـ :

ـ سـوـفـ نـسـتـفـيـدـ مـنـ هـذـاـ اللـغـمـ يـوـمـاـ مـاـ . فـالـبـرـوـلـ شـىـءـ ثـمـينـ  
لـلـغـاـيـةـ ..

سـأـلـتـ عـائـشـةـ :

ـ تـرـىـ هـلـ هـنـاكـ أـلـغـامـ أـخـرـىـ ؟

رـدـ : أـمـنـىـ أـلـاـ يـكـوـنـ مـشـكـلـ هـذـاـ .. لـقـدـ كـانـ صـعـبـاـ ، لـمـ أـسـتـطـعـ  
الـسـيـطـرـةـ عـلـيـهـ بـسـهـوـلـةـ ..

ثـمـ رـاحـ الجـمـيـعـ يـمـشـونـ فـيـ الـوـادـيـ ، بـعـدـ أـنـ تـرـكـواـ أـرـكـانـ الـمـصـبـاحـ  
الـلـغـمـ مـكـشـوـفـاـ حـتـىـ لـاـيـتـعـشـرـ فـيـهـ أـحـدـ ، رـغـمـ أـنـ شـخـصـاـ لـنـ تـسـوـلـ لـهـ  
نـفـسـهـ يـوـمـ أـنـ يـأـتـىـ إـلـىـ هـذـاـ المـكـانـ ..

وـأـخـذـواـ يـتـحـسـسـونـ الـمـكـانـ بـخـطـىـ ثـقـيـلـةـ ، وـهـمـ يـعـرـفـونـ جـيـداـ أـنـ  
الـطـرـيـقـ يـخـفـىـ فـيـ جـوـفـهـ أـخـطـارـاـ قـدـ تـنـفـجـرـ بـهـمـ جـمـيـعاـ فـيـ أـىـ لـحـظـةـ .

فـجـأـةـ اـنـطـلـقـتـ صـرـخـةـ هـائـلـةـ مـنـ الـمـكـانـ . وـبـدـتـ كـأـنـهـ لـشـخـصـ

يـتـأـلمـ ، بـلـ وـيـتـلـذـذـ فـيـ أـلـمـهـ :

ـ آـهـ .. أـيـهـاـ الـفـارـسـ .. اـبـتـعـدـ ..

وارتد الفارس النادر إلى الخلف وقد وضع يده على سيفه  
مستعداً أن يشهده كى يبارز به ذلك المخلوق الغريب الذى بنى  
فجأةً من تحت الأرض . بعد أن داست عائشة دون أن تدرى على  
غطاء أحد الألغام ..

وفجأةً انزع المكان كله بمخلوقات غريبة من نفس الطراز ،  
كأنهم جميعاً نسخ مكررة راحت تترافق أمامهم وهى تهز رؤوسها  
المتعددة الزوائد ، وتحرك أيديها في اتجاهات عديدة ..

بدت جميعها مثيرة للنفور ، وكأنها كتلت من العجين الذى  
يتحرك دون إرادة .. ولم يبرز في وجوهها سوى تلك الآذان الطويلة  
التي تدللت وكأنها تكاد تلمس الأرض ، سأل شادي :  
- إنها كائنات بشعة ..

رد الفارس النادر وهو لايزال ممسكاً بيده سيفه :  
- لا ، بل هى كائنات لطيفة .. انظروا كيف تهتز .. كأنها تود  
أن تغنى .. أو ترقص ..

وازدادت دهشة الرفاق . فلاشك أن الفارس يحاول أن يهون من  
الامر ، فلا يمكن أبداً مثل هذه المخلوقات أن تكون لطيفة ،  
صحيح أنها تحاول أن تهتز لكن هذا لايمكن أن يكون رقصًا  
بالملاة .. قال الفارس ..

ـ ألا تصدقوننى .. انظروا .. سوف يقلدونى ..

( ٣٠ )

رفع يده إلى أعلى وسرعان ما راحت المخلوقات الغربية تقلدته ، رفعت زواجها أيضاً لأعلى ، ثم سرعان اخضى يده ففعلت مثلما فعل ، تنهى وقال :

ـ رائع .. علينا أن نرقص معاً ..

و قبل أن يتنهى من جملته قفز لأعلى .. ثم سقط أرضاً ، بينما الرفاق ينظرون إليه بدهشة . فلاشك أن الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يفعل ذلك هو مهرج وليس فارساً نادراً ، قادرًا على مقاتلة أعنى الفرسان وأقوى الجيوش .

تساءلت مروة :

ـ ماذا تفعل .. ؟

فجأة انحنى الكائنات الغربية أرضاً ، وبكل سرعة وقبل أن يتتبه الجميع إلى ما حدث انقض الفارس على أحد الكائنات وراح بسيفه يفصل رأسه عن جسده ، ويلقى به بعيداً .

وتواترت الأحداث المدهشة ، فلم تكن تلك الكائنات سوى أنابيب ألوان فارغة سرعان ما تساقطت الواحدة تلو الأخرى ، بعد

أن سقطت الأنبوية الأولى وذلك باعتبار أن جميعها نسخ مكررة

ومتشابهة منها :

هتف شادى :

ـ ياللهول !!

وبينما راح «الفارس النادر» يعيد السيف إلى جرابه ، قال :

ـ إنها خيالات .. مجرد خيالات فارغة لا تثير أى فزع ..

هنا أشارت مروة إلى شيء في نهاية الوادى قائلة :

ـ وهذه .. هل هي أيضاً خيالات .. ؟

التفت الجميع إلى ذلك الفارس الذى يركب جواداً أبيض

ويتحرك في طرف الوادى قادماً نحوهم ، راحوا يدققون النظر قال

مصطفى :

ـ بالتأكيد إنه فارس ، لكن من يكون ؟

رد الفارس النادر :

ـ لعله حارس تلك المنطقة ..

تساءل شادى : ترى هل هو شير .. أم هو مقاتل نبيل ؟

ولم تكن هناك إجابة شافية على هذا السؤال ..

(٣١)

اقرب الفارس فوق حصانه الأبيض بخطوات متباينة ، وفجأة  
اختفى عن الأنظار وسرعان ما تجسدت الدهشة في عيون الرفاق في  
صاحب مروءة :

- إنه فارس خفى .

هتف الفارس النادر : لا ، بل هو موجود هنا ..

راح يشير إلى المرأة الذاكرة التي أمسكها بيديه والتي كانت قد  
سجلت صورة ذلك الفارس بحصانه الأبيض قبل أن يختفيا فجأة ،  
صاحب الفارس النادر بصوت عال مليء بالتهديد والقوة :

- أنت هنا ، لن تختفى ، انظر صورتك .

ثم سادت لحظة صمت رهيبة . سمع الجميع خلاها تنهيدات  
خفية على مقربة منهم ، وعلى شاشة المرأة الذاكرة انعكست صورة  
الفارس يتحرك قبل أن يختفى . ثم راحت تجسد صورة الفارس وقد  
تحول لونه إلى شيء مختلف . بدا كأنه استعد لهاجمة الرفاق بعد أن  
تحول إلى شيء آخر ، صاحب الفارس النادر وهو يشهر سيفه  
العملاق ويتجه إلى الفارس كى يطيح به ، وهو الذى لم ير نفسه في  
مرأة الذاكرة ولم يعرف أن صورته انعكست عليها :

- أنا أعرفك جيدا .. فأنت المتعدد الألوان ..

نصح في أن يلقى بسيفه فوق الأرض . وعزله من سلاحه ، فرفع  
يديه إلى أعلى وتساءل :

- هل تراني ؟

رد الفارس النادر :

- انظر ، إنها المرأة النادرة ..

تساءل الفارس المتعدد الألوان : ما الذي أتي بكم هنا ..

الاتعرفون أنه منع على كل البشر اختراق تلك المنطقة .. ؟

قال بشادي :

- بقعة من أصل اللون الأزرق .. هذا مانشده ..

رد الفارس في لهجة مليئة بالأسى :

- هذا منع .. من يأخذ لونا تصيب لعنة ..

أحس الجميع بالجزع ، تذكرت عائشة ماقرأتها عن لعنة  
الفراعنة ، فهل هناك أيضا لعنة اللون الأزرق ، بحيث أن من  
يحصل على بقعة من هذا اللون تطارده اللعنة . هنا قال الفارس  
النادر :

- للضرورة أحكام ..

رد الفارس : ولو .. هل تعرفون ماذا يعني أن تأخذوا بقعة من  
اللون ؟ . إنكم بذلك ستأخذون بقعة من ضوء وادينا .. فاللون

هو الضوء .. ونحن بلاد تعيش الضوء حتى ولو كان أزرق .

قال مصطفى :

- لقد ضاع قوس قزح من مدینتنا .

رد الفارس المتعدد الألوان : آه .. هذا شيء عجيب ..

فالبلاد التي يختفي منها قوس قزح لا يخفي فيها .. لكن ..

بدا متربدا ، ثم نظر إلى سيفه الذي سقط أرضا ، بينما وقف خصمه «الفارس النادر» شاهرا سيفه ، تمنى أن تتيح له الفرصة لنزاله .. فهو لا يمكنه أن يمثل أبدا ويسلم بقعة واحدة من ضوء بلاده إلى هؤلاء الغرباء ..

فجأة صرخت مروة :

- الحق إنه ينظر إلى سيفه ..

وفجأة التفت «الفارس النادر» إلى السيف الذي قفز في الهواء فجأة ، وكان عيني «الفارس المتعدد الألوان» قد جذبته بقوة وجعلته يطير من أجل أن ينغرس في صدر الفارس النادر ، الذي سرعان ما اضرب بسيفه في الهواء ، وبكل قوة شطر السيف الطائر إلى أربع قطع أحدثت دويا هائلا عندما سقطت فوق الأرض .

وسرعان ما ازداد الجو توترا ، وانحنى الفارس المتعدد الألوان في

ادب جم أمام خصمه ، وقال :



ـ لقد تحققت النبوة . فعندما ينكسر السيف إلى أربع قطع ، سيأتي فارس يمكنه وحده أن يأخذ بقعة من ضوء بلادنا .. تفضل ..

أشار بيده اليسرى إلى طرف الوادي الذي جاء منه ، وراح يمد يده في الهواء نحو أجزاء سيفه المكسور التي سرعان ما تجمعت مرة أخرى ، وعادت إلى هيئتها الأولى ، وطارت لتسقير في يده ..

(٣٢)

وسارت الأمور على ما يرام .

ورغم أن الرفاق تصوروا أنه يمكن أن يمكن أن تحدث مواجهة جديدة ، خاصة بعد أن تجمعت أجزاء السيف مرة أخرى في يده . لكن الفارس النادر رد قائلًا :

ـ إنه حارس . وعليه أن يحترم النبوة ، والمهمة الموكولة له .

وساروا في الوادي واتجهوا نحو منابع الشلال . كان المشهد بديعا للغاية ، وراحت درجات اللون الأزرق تبدي أمام الأعين . وامتلاءات العيون بالدهشة ، وهى تشاهد مثل هذه التشكيلات التى تبىع من اللون الأزرق . وفجأة في نهاية الوادي ظهرت كافة الكائنات والخلوقات التى اكتسبت شهرتها من اللون الأزرق ،

بدت بديعة ، ورائعة في شكلها . ولم يكن على أى لسان سوى  
تعبير « سبحان الخالق الأكبر » .

هتفت عائشة :

- ياخسارة . . فبلادنا افتقدت كل هذه الألوان البدية فجأة .  
هنا انحنى الفارس النادر ، وبدأ ينكمش وهو يحاول أن يلتقط  
بأطراف أصابعه بقعة من الضوء الأزرق ، والتي سرعان مادفع بها  
داخل أنبوية صغيرة أشبهها بأنبوية معاجين الأسنان ، وكلما  
اندفعت بقعة الضوء الأزرق المقدس داخلها كلما تضاءل جسمه  
حتى أصبح رجلا عجوزا ، أخذ ينظر إليها وسط الدهشة التي  
أصابت الرفاق . ثم ردّ :

- عثرنا على البقعة الأولى من الكنز المفقود . .

تمتمت عائشة بصوت مسموع :

- أنا أعرف مخاطر مثل هذه الرحلات . ورغم ذلك جئت كي  
أشاهد مثل هذا المنظر البديع . .

وراحت تنظر إلى الأفق الأزرق ، بدرجات ألوانه المتعددة  
المهيبة ، أحسست كأنها ترى الشمس هناك مشرقة ، لكن بدرجة ما  
من اللون الأزرق ، وأحسست إن هناك مزروعات خضراء ولكن  
خضرتها تلفعت أيضا بدرجات من اللون الأزرق . . وفجأة تذكرت

أن مديتها الآن محرومة من هذه النعمة الإلهية الكبرى ، فلمست  
وجنتها الساخنة واكتشفت أنها تبكي .

(٣٣)

إنه ليوم عصيّ للغاية في المدينة الزرقاء ، ليس فقط ، لأن  
مجموعة كبيرة من الأسرى وقعوا بين أيدي طائفة الرخ المعدل وأنهم  
الآن يعملون على تطوير البلاد التي خربوها في غزونهم الأخيرة ،  
ولكن أيضا لأن العجز استطاع أن يحصل على بقعة من الضوء  
الأزرق ووضعها في مخلاته البيضاء .

جاء صوت الشبح الأزرق على الشاشة مكتوبا بكلمات تنضح  
بالغضب :

ـ كله إلا اللون الأزرق .. إنه ملك لنا ..

نظر إلى مساعدته « الداكن » الذي لم يكن قادر على رفع عينيه  
إلى رئيسه ، فهو يعرف أن الشبح الأزرق دائمًا في حالة غضب ،  
خاصة كلما انتصر « الفارس النادر » في مواجهة جديدة . فبلاشك  
فإن الشبح الأزرق يقدح ذهنه في كل مرة ، ويشحذ همته من أجل  
تحقيق هدف شرير ، ولكن هاهو هذا الفارس يقف له بالمرصاد .  
ولأول مرة يظهر على الشاشة الناطقة وجه « الشبح الأزرق » وهو

يتكلم ، كان فيها قبل وفي حالات الغضب الأقل درجة يتكلم فقط فلا يظهر سوى ما يقوله من خلال كلمات مكتوبة على الشاشة . أما الآن فها هو يظهر بوجهه ، ويتكلم . إنه حين ينطق لاتخرج عباراته إلى السامعين ، لكنها تخرج بذلك الشكل الغريب على الشاشة ، قال صارخا .

ـ لن تتكرر مثل هذه المهزلة ..

رد «الداكن» قائلا :

ـ لعلهم سيتوجهون الآن إلى «جبل النار» .

صرخ «الشيخ الأزرق» بكل مالديه من عصبية :

ـ لا .. إلا «جبل النار» .. مفهوم؟

هز المساعد رأسه متسائلا : بماذا تأمرؤن؟

نظر «الشيخ الأزرق» إلى شاشة على الحائط ، وكأنه يتطلع إلى مجهول وقال :

ـ دمروا الشعلة .

قال المساعد : مستحيل .. فكلما دمرناها ازدادت اشتعالا وتأججا .. إنها من النار .

وجاء صوته من جديد على الشاشة ، وهو يقول :

ـ إذن اطقوها .. أمامكم الناقوس الأسود ..

وكان ذلك إيذانا ببداية المتابعة الحقيقة .

(٣٤)

إنها بلاد غريبة ، متراحمية الأطراف . واسعة . يسكنها هؤلاء الأقزام منذآلاف السنوات ، لا يكاد أحد يعرف عنهم شيئا .. هذا هو ناقوسهم العملاق الأسود قد اكتمل بعد كل هذه المعاناة . إنه « وادي الأقزام » البعيد . لقد توارثت الأجيال فيه هما واحدا هو الانتهاء من بناء ذلك الناقوس ، المصنوع من البللور الأسود . وذلك بناء على وصية الجد الأكبر الملك « دايت » الذي رأى أن الأقزام يجب أن يبنوا بناية شامخة ، ترتفع إلى عنان السماء ، حتى يؤكدوا لكل العالم إنهم إذا كانوا صغار القامة فإن اعماهم شامخة وماردة ..

الآن ، ها هو الناقوس يقوم في أعلى الوادي .. تراه العيون من مسافات بعيدة ، ربما تصل إلى مئات الأميال . وهما الشعب كلهم يستعد في هذه الليلة للإحتفال بمناسبة انتهاء العمل في تشييد الناقوس الأسود المصنوع من البللور الحالص .

ها هي الفرحة تعم كل أبناء « وادي الأقزام » . والسعادة ترفرف على القلوب ، والأغاني تطلق في كل مكان ، فها هي الإرادة قد

تحدت ، وحققت نصرا. إنه يوم المجد الأكبر في الوادي ، ويوم الفرحة المطلقة . والبهجة التي لاحدود لها .

لم ينم الناس منذ ثلاثة أيام .. وكيف لهم أن يناموا ويتركوا تلك الاحتفالات التي تملأ الوادي ، وهل ينام أحد وقد تحول المكان كله تحول إلى كتلة من الضوء المشع ، وهاهو الناقوس يبدو شائعا في مكانه ..

سرعان ماغير الأقزام أسلوبهم في التحية . فبدلا من التحيات التقليدية القديمة ، راحوا يحيي بعضهم البعض « صباح الناقوس السعيد » .

وفي المساء يرددون : « عم عليكم الناقوس » .  
إنها لحظة النصر ، والفرحة ، ارتفعت الأصوات المبتهجة ، الممتزجة بالصفير ، والصراخ . وأيضاً أصوات صفارات الإنذار .  
نعم . صفارات الإنذار التي انطلقت في الوادي ، لكن أحدا لم يتتبه إليها . فقد حسبوها من علامات في المهرجان .. ولم يكن أحد يتصور أن جحافل شريرة من الجيش الأزرق قد استطاعت دخول الوادي . ولديهم أسلحة يمكنهم بها من الاستيلاء على المكان بسهولة غير متوقعة .

(٣٥)

عندما ترك رجال الجيش الأزرق « وادى الأقزام » كانوا كعادتهم قد تركوا الأحزان والدمار ، والألم والدموع والذهول .

لم يصدق ابناء وادى الأقزام أن هذا يمكن أن يحدث وان « الناقوس الأسود » يمكن أن يسلب منهم بكل سهولة . وأن يختفي فجأة ، وهو الذى استغرق بناؤه سنوات طويلة ، جعلت كل الأجيال ترى أجزاء منه حتى اكتمل أخيرا ، وأصبح رمزاً للجميع .

لقد استطاع رجال الجيش الأزرق أن ينشروا الغازات المخدرة في الوادى ، فلم يلقو أى مقاومة تذكر ، واستطاعوا أن يحملوا الناقوس فوق سيارتهم الالكترونية التى صنعواها خصيصاً لهذه المناسبة . والتى لا تستطيع سيارة أخرى حمل مثل هذا الناقوس البالورى الأسود العملاق سواها .

وعندما تنبه الأقزام من غفوتهم ، بعد أن زال أثر المخدر ، نظروا إلى الأفق ، فلم يروا جيدا ، لأن الناقوس قد اختفى . وساعد المهرج والمترجم ، وتساءل الجميع عما حدث ، وأين ذهب الناقوس .

وراحت الأقاويل تتردد ، وأكيد أقزام المراقبة أنهم أطلقوا صفارات الإنذار عندما رأوا جحافل زرقاء تقترب من الوادى . لكن أحدا لم يتبه .

ردد أحد الأقزام : وماذا كان يمكن أن نفعل ؟ . إنهم من العمالقة ..

وبكل غضب ، ردد مواطن آخر من الأقزام موجهاً كلامه إلى زميله : كيف تقول مثل هذا الكلام أيها الانهزامي . الموت أشرف لنا من أن ننام مخدرينا . ويضيع منا ناقوسنا .

ونطق كلمة « ناقوسنا » بطريقة أثارت حمبة الجميع .

ورغم هذا الحماس ، فإن أحداً لم يعرف ماذا يفعلون .. اقترح أحد الأقزام أن يشكلوا جيشاً يذهب في إثر الجحافل الزرقاء من أجل استعادة الناقوس .. ولكن فجأة نطق طفل صغير ببعض الكلمات :

— أيها الآباء .. هلا سمعتموني .. لقد رأيت ماحدث .

التفتت العيون إليه ، ولأنه لا يوجد في بلاد ، الأقزام من هو طوييل أو قصير . بل الكل سواسية ، تركوه يقول :

— لقد كنت نائماً فوق تلك الشجرة العالية .. كنت هناك أحياول أن أنظر إلى الناقوس من أعلى ورأيت كل شيء ..

ثم راح يمحكى ما شاهده ..

تساءل شادي :

— ترى من أين نأتي بالبقة الحمراء ؟ ..

(٣٦)

لم يود العجوز أن يعلن أنه حقيقة لا يعرف . وأنه لأول مرة يخرج في مغامرة لا يعلم شيئاً عن دروبها ، ولا أين نهايتها ، إنه واثق أن اللون الأحمر نائم هناك ، وفي مكان بعيد ، لكن أين ؟ لا يعرف بالضبط .. صحيح أن هناك منطقة معروفة باسم « الجبل الأحمر » وهناك البحر الأحمر .. لكنه متتأكد تماماً أن البقعة الضوئية المطلوبة ليست موجودة هناك ..

ساد الصمت قليلاً ، وراحت عيون الرفاق ترقبه ، كأنها تنتظر منه الإجابة . لكنه لم يعرف كيف يتصرف .

كانوا في تلك اللحظة واقفين عند أطراف غابة كثيفة . وبدا كأن اليوم التالي للمغامرة على وشك أن يبدأ ، فهنا تزغ الشمس من جديد .. فكر العجوز في ما يجب أن يفعله .. فليس عليه أن يستخدم نفس الوسيلة مرتين . ولكن أن يجدد دائمًا في مغامراته .. فكر أن يستعين بخريطة الإلكتروني المجسمة التي يملكتها . ومن خلاها يمكن أن يعرف موقع الجبل .

قال :

ـ لا يوجد سوى الخريطة الإلكترونية .

ومد يده إلى مخلاته ، وأخرجها ، ثم راح يتفحصها ، كانت  
صغيرة ولكنها غريبة الشكل .  
سألت عائشة :

- كيف يمكن أن تعرف بها الأماكن الخيالية ؟  
رد العجوز : لاشك أن جبل النار موجود في مكان ساخن ،  
ولذا فهو موجود في أشد الأماكن سخونة .

و قبل أن يدوس على اللون الأحمر الذي في طرف الخريطة  
الالكترونية ، سمع الجميع صوتاً لحركة بين الأعشاب .. وبسرعة  
راح كل منهم يتحسس سلاحه ، وانتبهت حواس العجوز ، وراح  
يبحث الرفاق بيديه كأنه يحاول حمايتهم من شر يمكن أن يحدق  
فيهم .. ثم شد أعصابه كأنه يمكن أن ينسليخ بين لحظة وأخرى ،  
وهتف :

- من هناك .. ؟  
ولم يسمع أحد أى إجابة . واختفى الصوت فجأة ، ثم عاود  
الظهور ، ومن جديد اشتدت الأعصاب وتتوتر المشاعر .. وقال  
مصطفى :

- حذار ، إنهم الجنود الزرق ..

(٣٧)

وierz من بين الأشجار قزم أسمى اللون . يمسك بين يديه ورقة صغيرة كأنها رسالة . أحس الجميع بارتياح .. بينما بدت عيناه مليئتين بالذكاء والتوفيق ، تسائلت مروة :

- من أنت ..؟ وماذا تريد ..؟

- أسمى مارد .. وأبحث عن «الفارس النادر» ..

وانطلقت الضحكات من الرفاق الأربع . وود شادي أن يلقي دعاباته بأنه لو كان هذا القزم يدعى ماردا . فكيف يكون طول المارد الحقيقي . هنا اقترب العجوز من القزم وربت على كتفه وسأله :

- ولماذا تريد مقابلة «الفارس النادر»؟

رد القزم : أريد مقابلته الآن الأمر خطير ..

قال العجوز : أخيرنى في ماذا تريده .. وربما أساعدك ..

علق القزم : ليس من حقى أن أبلغ الرسالة إلا لصاحبها .  
كان الرفاق لا يزالون يضحكون من اسمه . ولم يمنعهم أن يستمروا في الضحك شيء خاصه أن أسلوب القزم في الكلام كان أدعى أيضا إلى الضحك والسخرية . هنا التفت إليهم «مارد» وقال :

- علام تضحكون .. هل لأننا في ورطة ؟  
وسرعان ماساد السكون وردد الجميع معا : « ورطة » .. ثم  
تساءل مصطفى :  
- ماذا تقصد ؟

قال القزم بنفس الإصرار : لن أقول شيئا إلا لو قابلت الفارس  
النادر .

سأله العجوز : هل تعرفه ؟  
رد القزم : ربها .. لا .. لا ..  
بدا وكأنه كان سيكذب ، لكنه قرر أن يتراجع في اللحظة الأخيرة  
ونطق بالصدق ..  
قال شادي :

- نحن نعرف « الفارس النادر » .. وقد رأيناه ..  
رد القزم : لا .. بل أنتم لا تقولون الصدق ..  
تدخل العجوز وبكل ثقة قال : لا .. صدقهم .. إنهم  
يعرفونه وأنا أيضا ..

(٣٨)

قال القزم : لكتنى أريده .. فالأمر عاجل .. لقد سرقوا  
النقوس الأسود ..

هنا برقـت عـينا «الفارـس النـادر» وـشـرد بـعـيدـا ، وـراـح يـفـكـر ، فـهـو قد سـمع عن هـذـا المـشـرـوع الضـخـم الـذـي يـكـاد يـوـشك الـأـفـزـام عـلـى الـأـنـتـهـاء مـنـه . إـنـه مـشـرـوع أـسـتـه الـأـجيـال المـتـعـاقـبـة رـمـزا لـلـإـرـادـة :  
وـالـتـحـدى . تـقـمـت :

ـ ماـذـا . . النـاقـوس الـأـسـدـا !

سـأـلـ القـزم : هـل تـعـرـفـه ؟

تـقـمـ العـجـوز وـهـو لـاـيـزـال شـارـدا : مـنـ الـفـارـسـ النـادـر ؟

ردـ القـزم : إـنـه الـجـنـودـ الـمـلـوـنـوـنـ بـالـلـوـنـ الـأـرـقـ . .

وـكـانـ عـلـىـ العـجـوزـ أـنـ يـخـرـجـ مـنـ شـرـودـهـ ، وـعـلـىـ وـجـهـ السـرـعـةـ رـاحـ  
يـسـتـجـمـعـ كـافـةـ الـمـعـلـوـمـاتـ الـقـلـيلـةـ التـيـ أـمـكـنـهـ الـمـحـصـولـ عـلـيـهـاـ .  
فـلـاشـكـ أـنـ لـقـيـاـمـ هـؤـلـاءـ الـجـنـودـ الـزـرـقـ بـسـرـقـةـ النـاقـوسـ الـأـسـدـ عـلـاـقةـ  
أـكـيـدـةـ بـرـحـلـتـهـمـ ، لـذـاـ قـالـ :

ـ آـهـ . . الشـعـلـةـ فـيـ خـطـرـ . .

ردـ القـزم : فـعـلـا ، هـذـا مـاـسـمـعـتـ أـحـدـهـمـ يـقـولـهـ ، وـهـمـ يـخـرـجـونـ  
مـنـ وـادـيـنـاـ ، وـادـيـ الـأـفـزـامـ .

انـحـنـىـ العـجـوزـ نـحـوـهـ ، وـسـأـلـهـ :

ـ وـاـيـنـ تـوـجـدـ الشـعـلـةـ . .

ردـ القـزم : إـنـهـاـ هـنـاكـ . . فـيـ جـبـلـ النـارـ . .

تساءل العجوز : هل هي بعيدة ؟

هنا ، كانت ملامح القزم قد تغيرت بشكل ملحوظ ، بينما وقف الرفاق الأربعة يرقبون ذلك الحوار الدائر بين العجوز والقزم وكأنهما لاعبان ماهران يقومان بقذف كرة طاولة في ما بينهما هنا ، قال القزم :

- لكن ، قل لي من أنت .. هل تعرف «الفارس النادر» فعلا ؟

لم يشا العجوز أن يرد على السؤال وقال :

- هل يمكن أن تدلني على الطريق ..

رد القزم : ليس قبل أن أقابل «الفارس النادر» .

ربت العجوز على كتفيه بطريقة جعلت القزم يشعر كأن هذا الرجل يعرفه منذ سنوات طويلة وكأنه أهل للثقة . فجأة بزغت من بين الأشجار جحافل من الأقزام تحمل سيفا قصيرة مصنوعة من الخشب .. راحت تتنامى ، حتى ليخيل للمرء أنها من قوم يأجوج وأوجوج .. لا يمكن لأحد أن يعدها .

(٣٩)

وأنطلقت الجحافل وراء العجوز ، والرفاق الأربعة ، أحسوا كأن هذا الرجل فعلا لديه الخل ، وأنه يعرف الفارس النادر .

والذى يمكنه وحده أن يستعيد الناقوس الأسود . وساروا معا نحو  
مجهول لا يعرفونه ..

حتى وصلوا بعد ساعات إلى حافة جبل ، وهناك كان عليهم  
أن يتوقفوا ، فهناك على الجانب الآخر تبدو ملامح جبل النار ،  
ومن بعيد تنطلق الشعلة الأبدية .. التي يتولد تحتها اللون الأحمر .

فجأة صاح القزم «ماردا» ، وقد علت نبرته من الغيظ :  
ـ آه .. لقد دمروا الجسر ..

وأشار إلى طرف الجسر المقطوع الذي سقط على الجانب الآخر  
من الجبل ، وبدا كأن الجنود الزرق قد عبروا فوقه ، ومعهم السيارة  
الالكترونية التي يمكنها وحدها أن تحمل الناقوس الأسود .. نظر  
العجز إلى الجسر ، وقال :

ـ لقد سبقونا .. ونحن نحتاج إلى شهور لبناء جسر جديد .  
قالت عائشة :

ـ ماذا تعتقد أنهم سيفعلون بالناقوس ؟ .

رد العجوز : سوف يصعدون به الجبل ، ويضعونه فوق الشعلة  
ويطفئونها . فالناقوس مصنوع من مادة بللورية يمكنها أن تحتمل  
قوة النيران المشتعلة .. ثم سوف تقنع الإكسجين عنها حتى  
تنطفئ .

وتذكرت مروءة التجربة التي درستها في كتب العلوم التي أثبتت فيها مدرستها أن الاكسجين ضروري للحياة، وأنه عندما وضع دورق زجاجي فوق إزاء به شمعة سرعان ما انطفأت الشمعة بعد نفاد الاكسجين .

تتم مصطفى : إذن سوف ينالون ما أرادوا . . سوف يطفئون الشمعة وينتهي اللون الأحمر من العالم . .

قال أحد زعماء الأقزام : لكن لماذا ناقوسنا ؟

ردت عائشة : الناقوس مهم . . وايضا اللون الأحمر . .

هنا تدخل القزم «مارد» قاتلا :

- لكنهم لن يصلوا قبلنا . . فلدي فكرة جهنمية . .

(٤٠)

وسرعان ما راح الأقزام ينفذون فكرة «مارد» الجهنمية .

بدأ كل منهم يلف جسده حول زميله بواسطة السيف الخشبي الذي يحمله . ويتصبب في الهواء وكأنه يجدل نفسه معه . وسرعان ما تكونت مجموعات كبيرة من الأقزام الذين كان عليهم صناعة جسر بشري ضخم ، يمكن لبقية جحافل الأقزام أن تمر من فوقه ويتم إنقاذ الناقوس في الوقت المناسب .

كانت أعدادهم كبيرة ، لكن المهم هو سرعة إيقاع العمل  
وسرعة تنفيذه .. بدا الحماس في عيونهم وهم متهاشكون وقد تحولوا  
إلى جديلة ضخمة من الأقزام تماسكت في ما بينها وبدأت تشكل  
هيكل الجسر البشري ..

بذا المنظر شديد المهابة ، وفي ساعة واحدة كان هناك عشرات  
الآلاف من الأقزام معلقين بين فتحتي الجبلين . والآن على العجوز  
ورفقاء الشباب أن يمروا إلى الناحية الأخرى إلى حيث يوجد جبل  
النار الذي تعلوه الشعلة .

راح مصطفى يدوس بقدمه فوق الأقزام فأحس بقشعريرة ..  
فتراجع .. وقال :

- لا ، لا يمكن أن أدس فوق البشر ..

صاح قائد الأقزام : إنها مهمة إنسانية مقدسة ..

ردت عائشة : لكن ..

هنا ، وبدون سابق إنذار انطلقت أغنية مليئة بالحماس فوق  
الجسر ، راح يرددتها الأقزام معا .. مما جعل العجوز يحس أنه  
سوف يسبب السعادة للجميع لو سار فوق هذا الجسر البشري .  
وراح يطأ بقدميه فوق الجسر وتشجع مصطفى ففعل مثله ، ثم  
لحق به كل من عائشة ومرورة وشادي . وانطلقت الأغانيات

الحماسية. وراحت جيوش الأقزام تنظم نفسها كأنها تستعد لعبور الجسر بدورها .

لكن، فجأة حدث مالم يكن في الحسبان ، فعلى الطرف الآخر من الجبل ، وعند حافة الجسر ظهرت مجموعة من الجنود الزرق ، كان من الباد عليهم أنهم سيد مرون الجسر بأى ثمن .

( ٤١ )

ووجد العجوز نفسه ينطلق نحو الناحية الأخرى من الجسر وهو يصرخ في الرفاق أن يتبعوه بسرعة ، وراح كلما انطلق جاريا ينسليخ من شيخوخته ، وتدب فيه دماء الشباب ، ويصبح عملاقا يمسك بسيفه ويصرخ بأعلى صوته ، وعلى الطرف الآخر من الجسر رأى رجال «الشبح الأزرق» فارسا عملاقا قادما نحوهم ، فجأة صاح واحد منهم بدا كأنه هو قائد فصيلتهم :

- اضرموا أطراف الجسر بسرعة ..

وبدت المواجهة حاسمة وأسرع الفارس النادر بكل قوته كى يلحق بخصومه قبل أن يتمكنوا من الجسر ، وأن يمزقوا أطرافه ف تكون الكارثة . وبسرعة راح يقفز في الهواء قبل أن يتمكن عشرة من الجنود من قطع الأحبال التى صنعوا الأقزام .

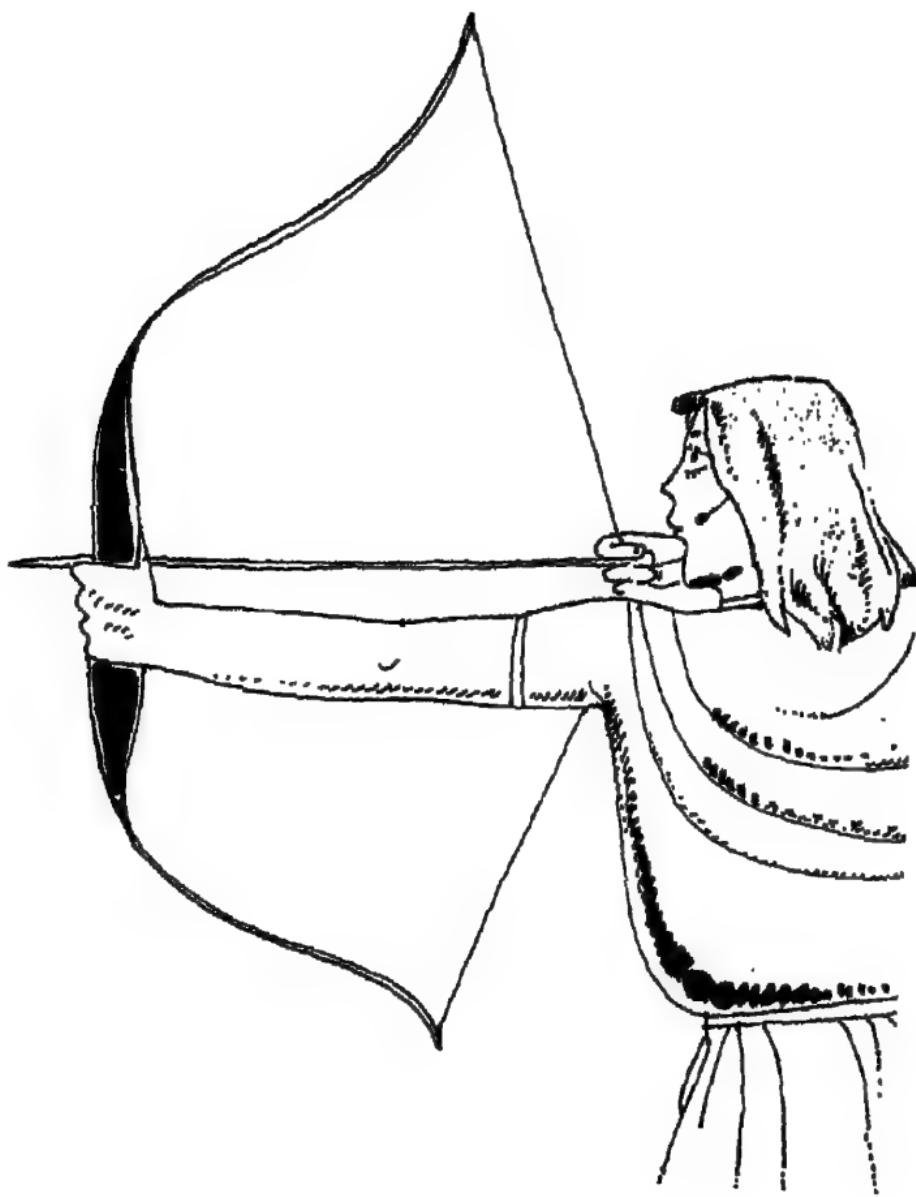
وعلى الطرف الآخر من الجسر حدث أيضا مالم يكن في  
الحسبان، حين صاح قائد الأقزام :  
- انطلقوا من هنا . .

وراح يشير إلى طرف الجسر الذي إلى جواه ، وبسرعة أطلق  
الأقزام الذين في هذه الناحية العنان لايديهم وطاروا في الهواء معا  
متكاثفين كأنها هم مربوطون بحبل من المطاط الذي انطلق بهم في  
السماء ، ثم رمى بهم فوق الجنود الزرق .  
كان هذا مشهدا نادرا ليس له مثيل .

فقد تناول الأقزام فوق خصومهم . وراح كل منهم يمسك برقبة  
جندي أزرق ، وبكل مهارة راح يدفع يده في خوذته فيحيل عنه  
الرؤية ويفقده كل مقاومة . ويسقط عليه تماما .

كانت معركة مثيرة ويالها من إثارة . فقد بدت الغلبة العددية  
للأقزام الذين أحسوا أنهم في معركة مصرية ، وأن عليهم أن  
يتتصروا بأى ثمن ، من أجل استعادة الناقوس الأسود .

وما هي إلا دقائق قليلة إلا وسيطر الأقزام على تلك الفصيلة من  
الجنود الزرق ، بينما نجح الفارس النادر ورفاقه في اجتياز هذا  
الحاجز البشري الهائل وهو يهدف إلى الوصول إلى قمة جبل النار ،



حيث يكاد جنود آخرون من الجيش الأزرق أن ينجمحوا في الصعود  
بالناقوس الاسود نحو الشعلة المقدسة .

( ٤٢ )

إنه سباق مع الزمن وسباق مع الإرادة والقوة .  
وعلى الفارس النادر أن يصل إلى هناك بأى ثمن ، وبأسرع  
ما يمكن ، فقد نجح بعض جنود الجيش الأزرق من صعود المنحدر  
الشديد الميل بتلك السيارة الالكترونية المجهزة خصيصاً لهذا  
الغرض ، وفوقها راح الناقوس يهتز من شدة الانحدار .

الآن هاهم يقتربون من الشعلة المقدسة فوق جبل النار .  
وهاهى السيارة الالكترونية تتحرك من تلقاء نفسها نحو هدفها ،  
كأنها تعرف الطريق جيداً ، وتعرف ماسوف تفعله بدت مجهزة  
لمواجهة تلك الحرارة الشديدة التي تعلو جبل النار بينما وقف الجنود  
الزرق يحيطون المكان بأجسادهم كأنهم مستعدون أن يصدوا  
السيارة لو انزلقت من فوق المنحدر .

إنها لحظات عصيبة للغاية .. فالسيارة الالكترونية تتقدم  
وهاهو « الفارس النادر » يستعد لاقتحام المغامرة .. رغم أن الجنود  
الزرق لم يتبهوا الوجوده بعد ..

فجأة وقف ثم ثنى قدمه اليسرى وجلس القرصاء ، وأخرج من خلااته قوسا ضخما سرعان ماراح يضبط سهمه فيه ، وراح يصوّبه نحو السيارة كأن عليه أن يفعل شيئا .

فجأة التفت أحد الجنود وصاح :

ـ انظروا .. اقتلوا هذا الرجل ..

و قبل أن يلتفت الباقيون إليه كى يصوّبوا أسلحتهم نحوه ، نجح «الفارس النادر» في أن يطلق السهم الذي أحدث صوتاً مدوياً قوياً وهو ينطلق فوق رؤوس الجنود ، فانحنوا جميعاً وقد اعترافهم خوف ملحوظ من شدة صوته ، ثم انطلق السهم نحو أعلى المنحدر بسرعة هائلة ، وانغرس في الإطار الخلفي للسيارة الالكترونية . و قبل أن ينغرس السهم بثانية واحدة كان السهم الثاني ينطلق بدوره ، وراح يخترق الإطار الأيسر الخلفي .

وسرعان ما توقفت السيارة عن التقدم . ثم ثبت مكانها قبل أن تنطلق نحو أسفل المنحدر .

كان المشهد مهيبا ، فالسيارة باللغة الضخامة والقوة ، وكذلك الناقوس الذي أخذ يهتز بشدة وهو يتحرك فوق السيارة المترجلة والتي كان مجرد انلاقها سبباً كافياً لإثارة الرعب في قلوب الجميع ..

تعالت الصرخات والسيارة تدفع أمامها هذه الجحافل الهائلة من الجنود الذين أسرعوا يولون الفرار، بل إن بعضهم اختار أن يلقي بنفسه من أعلى المنحدر الجبلي، حتى لاتدهم السيارة الالكترونية وهي التي يمكنها أن تدهم كل شيء أمامها.

انحنى الأقزام أرضا وقد اغمضوا عيونهم خوفا ورعبا، فهم يعرفون جيدا أن الناقوس البللوري يمكنه أن يتحطم تماما لو سقط فوق الأرض. لذا راحوا يتهللون إلى الله أن ينقذ ناقوسهم من أي خطير ..

وبكل بديه القويتين وقف «الفارس النادر» خلف إحدى الأشجار الضخمة وراح يلف ذراعيه حول رفاقه الأربعة وهو يتمتم :

ـ لاتخافوا أيها الشجعان . المهم أننا أنقذنا الشعلة في اللحظة الأخيرة ..

لكن ، هل تم إنقاذ الناقوس ؟ ففجأة ، قفز من فوق السيارة الالكترونية ، وارتفع في الجو ثم سقط فوق الأرض محدثا صوتا مربعا وحدثا فجوة ضخمة سرعان ماتدفقت منها الألوان الحمراء . راحت القلوب تدق مع كل حركة من حركات الناقوس خاصة

قلوب الأقزام ، فلاشك أن مثل هذه الصدمة سوف تساعده في تحطيم أقوى نواقيس العالم . كما دقت قلوب الرفاق الأربع بشدة وهم يرون الألوان الحمراء تتدفق من الأرض ، صاحت عائشة موجهة كلامها إلى «الفارس النادر» :

ـ انظر .. اللون الأخر ..

ربت الفارس على كتف الرفاق ، وقال :

ـ انظروا .. إنها تدابير القدر .. فلولا سقوط الناقوس ما ظهر اللون الأخر . إنه يختفي هنا تحت السطح .

علق شادى : لاشك أن استمرار الشعلة يعني أن اللون الأخر يتتدفق ..

في تلك اللحظات تدفقت جموع الأقزام الذين جاءوا فوق جسد بشرى آخر صنعوه بأيديهم من أجل أن يروا ناقوسهم الذي لم يصبهسوء .. فانحنوا ساجدين لله شاكرين إيمانهم .. واستغرقوا في صلاة الشكر بعض الوقت بينما تقدم الفارس النادر ليلتقط إحدى بقعات الضوء الأخر الطافية فوق سطح الألوان .. وراح يدسها في داخل الأنبوة التي أعدها خصيصاً لهذا الغرض ..

كان كل همه أن يفعل ذلك قبل أن يتنهى الأقزام من الصلاة .. حيث قرر الرحيل .. مرة أخرى ..

هناك .. في المدينة الزرقاء .. كانت هناك ألف حكاية ، وحكاية غاضبة .. وعلى شاشة التلفاز ظهر «الشبح الأزرق» ثائراً وهو يردد كلمات قليلة :

ـ سوف أخرج بمنفسي . سوف أمنعه من الوصول إلى الينابيع الصفراء ..

وخرج من القاعة .. لم يعرف أحد ماذا سيفعل ، خاصة أنه اختفى من المدينة وحده ، ولم يطلب أن يخرج معه جنوده . ورجل جميع المقربين منه في مقرة أنه سوف يجاهده وحده قوة الفارس النادر ، خصمه اللدود ، وأنه سيسعى حتى من أجل التخلص منه فهو الشخص الوحيد من أبطال مدينة الحكايات الذي استطاع أن يتصدى له .. وأن يقف له بالمرصاد ، وأن يعمل على أن يجعله فاشلاً في كافة خططه .

الآن ستكون المواجهة حاسمة بين الطرفين . لكن . هل يمكنه التغلب فعلاً على خصمه وهل يعدل له خطة جهنمية للتخلص منه ، وهل ستتجزئ الخطة .. ؟ تلك هي الأسئلة التي ظلت حتى الآن بلا إجابات ..

قد لا نعرف إجابات هذه الأسئلة بسهولة ، خاصة أن الأمور ازدادت غموضاً بعد أن خرج الشبح الأزرق من مديته . وأثيرت

عشرات الأسئلة الجديدة ، خاصة حيث تقع الصحراء العظمى . حين صحا سكانها هذا الصباح ليكتشفوا أن اللون الأصفر قد اختفى تماما وأن الرمال قد أصبحت خضراء اللون . وأن كل شيء قد اكتسى بهذا اللون النادر ، خاصة في الصحراء .

كانت صدمة شديدة لسكان الصحراء من البشر والحيوانات والطيور . فهذا حدث بصحرائهم الغالية وماذا قلبها رأسا على عقب بين ليلة وضاحا ، هل يمكن أن يكون ذلك حقيقة . أم إنه حلم . . وماذا يعني أن تتلون الصحراء فجأة باللون الأخضراء ؟ وعلى الفور اجتمع رؤساء القبائل من كل مكان ، وجاءوا من أجل التشاور ، ركب كل منهم جلا غريب الشكل وجاءوا مسرعين ليحضروا الاجتماع الذي دعا إليه شيخ القبائل وفي خيمته الواسعة جلس الجميع يتشارون . .

اتفق الجميع أن ماحل بصحرائهم يعتبر كارثة بكلفة الملايين . . فالصحراء لا تكون كذلك إلا إذا كانت رمالها صفراء وامتلأت بالكتنان المتحركة ، وبدت متراوحة الأطراف ساخنة ملتهبة . تعرف الفصوص الأربع في نفس اليوم حيث تهب الرياح ويندو الجو حارا ، وأحيانا يسقط المطر .

وقرروا أن يبحثوا عن شخص ما . . يساعدهم في حل ذلك اللغز .

(٤٥)

وقف العجوز أمام صحراء خضراء لم يرها قط من قبل تمند  
أمامه حتى أطراف البصر . ورددت مروة :  
- إنها صحراء غريبة الشكل !!

قال العجوز متسائلا : ألا تشعرون أنها أشبه بشخص زنجي ،  
حاول أن يدهن وجهه بالطلاء الأبيض ، فلم يصبح أسود ولا  
أبيض .

تساءلت عائشة ضاحكة : هل تقصد مايكلا جاكسون ؟  
رد العجوز : بالفعل .. إنه هو .. ترى ماذا حدث ؟  
تدخل شادى : وقال : نحن نبحث عن ينابيع اللون الأصفر ،  
وأغلب الظن أنها ليست هنا ..

لم يشأ العجوز أن يعلن مجددا أنه لا يعرف الطريق ، وأنه يتظر  
حدوث معجزة جديدة تدله على بداية الدرب إلى حيث توجد  
الينابيع الصفراء ، وفي هذه اللحظة سمع الرفاق لغطا وأصواتا  
متداخلة معا .

قالت مروة : أغلب الظن أنهم أبناء هذا المكان ..  
ضحك مصطفى وقال : أكيد سيكون لونهم أخضر .  
و هنا ظهر زعيماء قبائل الصحراء العظمى ، كانوا يقتربون من

المكان الذى يوجد فيه العجوز رفاقه ووما إن أصبحوا أكثر قربا  
حتى قال أحدهم :  
- أنتم غرباء .. لا شك .

قال العجوز : يبدو أننا ضللنا الطريق ..  
رد رجل آخر : ونحن أيضا .. لقد صحوينا فجأة لنجد بلادا  
غير البلاد ..

سأل العجوز : ماذا تقصد .. ؟  
قال واحد ثالث من زعماء القبائل : جميل والله أن تصحو فتتجد  
بيتك أخضر . والجمال أيضا خضراء ... كأنها شخص ماقام  
بدهانها .

ردت عائشة : هذا شيء جميل فعلا . فلو ذهبت الآن إلى  
مدينة «البروق الطازج» ..  
ثم سكتت فجأة ، فقد نظر إليها العجوز نظرة ذات معنى .  
هنا تسأعل شادي :

- هل كان لهذا المكان لون آخر ؟  
رد أحد الرجال : طبعا .. إنها الصحراء .. وهل تصبح  
الصحراء صحراء إلا بلوتها الذى عهدهناه عليه وأباونا وأجدادنا .  
سأل العجوز : ولكن ما الذى أصابكم .. هل هى لعنة .. ؟

(٤٦)

رد الرجل : والله يا أبي ، نحن لانعرف ماذا حدث بالضيبيط ؟  
سأل العجوز : بالتأكيد لديكم كنوز في هذا المكان ..  
قال الرجل : كل إنسان يعتبر بيته كنزه الخاص ، فهو ينام فيه ،  
ويشعر بالراحة .. والصحراء بيتنا وغطاؤنا ..  
وسأل العجوز مجددا : ألا توجد لديكم كنوز .. ذهب ..  
أحجار كريمة .. بترول ..

رد الرجل الآخر : ليس بالمعنى المفهوم .. صحيح أن لدينا  
البستان الأصفر .. لكن لا أحد يعتقد أنه يساوى الكثير ..  
ثم راح الرجل يتحدث عن البستان الأصفر ، إنه ليس سوى  
بستان أخضر صغير وسط الصحراء مليء بأشجار الليمون البنزهير.  
التي لا يصييها الجفاف طيلة العام .. وغالبا ما يذهب البعض إلى  
هناك من أجل التريض ، أو الراحة .. لكن يبدو أن الناس أصابها  
الملل من الذهاب إلى البستان ، فهو بعيد ولايفكر أحد في الذهاب  
لمشقة السفر إليه ..

فكرة العجوز فيها سمعه .. وراح يسترجع الحكايات الأسطورية  
التي سمعها عن منابع اللون الأصفر فالليمون البنزهير أصفر  
اللون .. ولاشك أن وجود هذا البستان في تلك الصحراء يعني أن  
هناك شيئا ما يحجب معرفة سره ..

سؤال العجوز :

- من هو آخر شخص ذهب إلى هناك ؟

رد رجل من زعماء القبائل : أنا . . آخر مرة كنت هناك قبل عشرات السنين ، ورأيت شيئاً غريباً ، إنها ثمرة ما يتساقط منها عصير أصفر اللون لم أر مثله في حياتي .

اقرب منه العجوز ودقق في وجهه كأنه يستفسر منه عن حقيقة ما يقول . قال الرجل :

- أجل . هذا ما رأيته . .

سؤال العجوز : هل فكر أحد عن وجود علاقة ما بين ما أصاب صحراءكم وبين وجود هذا البستان . . .  
ولم يكن هناك رد قاطع في هذا المضمار .

في تلك اللحظات أحس العجوز بعدم ارتياح لهذا الرجل الذي حدثه أنه زار البستان ، كان ينبعث من عينيه لون غريب ، ولاحظ أن ملابسه تختلف كثيراً عن ملابس بقية زعماء القبائل . وكأنه يتلتف بعباءة فوق ملابسه الزرقاء .

( ٤٧ )

قال العجوز وهو يوجه كلامه إلى رفاته :

- هيا بنا يا أصدقاء .. علينا أن نصل إلى البستان قبل رجال  
«الشبح الأزرق» .

سأل أحد الرجال :

- الشبح الأزرق .. ماذا تقصد ؟

رد العجوز : إنه الرجل الذي لون هذه الصحراء .. علينا أن  
نذهب الآن مع دليلكم إلى حيث يوجد بستان الليمون البنزهير .  
واتفق الرجال أن يرسلوا دليلا شابا مع العجوز كى يتوجه بهم  
إلى حيث يوجد البستان وسرعان ماجاء فريد ، شاب من  
الصحراويين ، تبدو الجدية في عينيه والإصرار في ملامح وجهه  
ولكنه أبدى قلقه قائلا :

- لم أعد دليلا ، فقد تاهت الصحراء التي كنت أعرفها ..

قال العجوز :

- حسنا . لأنريد شخصا بعينه ، بل نريد جلا أو أكثر ..  
أكيد إنه يعرف الطريق ..

وجاء الرد من الرجل الذي تحدث بأنه زار البستان :

- ليس لدينا سوى الجمال ذات السنام الثلاثة ..

ضحك العجوز وقال :



- رائع . بالتأكيد سيكون أسع ..

وسرعان ما ظهر الجمل الغريب الشكل ، إنه ذو ثلاثة أسنان  
وتبدو أقدامه الأربع قوية ، قال شادي :  
- إنه رشيق ..

قال الرجل : سوف يقودكم إلى حيث تشاءون .. إنه يتحرك  
بسرعة القطار ..

تم العجوز : حسنا ، نحن في عجلة من أمرنا ..  
وسرعان ما قفز العجوز فوق السنم الثالث وانحشرت مبروة  
وعائشة في السنم الثاني أما مصطفى وشادي فركبا فوق السنم  
الأول .

سؤال أحد الرجال :

- هل الأمر مهم لهذه الدرجة ؟

رد عليه العجوز : طبعا .. لنا ولكم .. من أجل إستعادة لون  
الصحراء مرة أخرى ..

وانطلق الجمل سريعا ، بينما راح الرجال يلوحون لهم ، ومن  
بينهم ذلك الرجل ذو العينين الحمراوين الذي خلع عباءته ،  
فبدت ملابسه الزرقاء والذي سرعان ما اختفى بعد أن قال لنفسه :  
- لقد حانت نهايتك أيها العجوز .. النادر ..

( ٤٨ )

لم يكن ذلك الرجل بالطبع سوى «الشبح الأزرق» الذي اندس بمهارة وسط زعماء القبائل ، وجاء لمقابلة العجوز الباحث عن ينابيع اللون الأصفر ، وذلك من أجل أن يجعله يصل الطريق من ناحية ولعله يدبّر له مؤامرة وخيمة العواقب من ناحية أخرى . . . إذن ، فالعجز ورفاقه من الشباب في خطر ، ولعل ذلك الجمل ذا السنام الثلاثة مندس أيضاً كي يساعد في تضليل الركب الصغير تحت قيادة العجوز .

انطلق الجمل بسرعة جبارة يخترق الصحراء الخضراء كأنه يعرف طريقه جيداً . بينما لمعت عينا العجوز الذي تعمد أن يركب في السنم الثالث ، من الخلف . حتى يمكنه أن يرقب كل شيء حوله ، وخاصة أنه أخرج مرآة الذاكرة وراح يدبرها حسبها يريد فأخذ يسُرّج فيها صورة ذلك الرجل الذي جاء له بالجمل ، وقام بتكبير الصورة على سطح المرأة وتأكد أن هناك شيئاً وراء هذا الرجل .

تم :

ـ إنه «الشبح الأزرق» . . . لقد جاء بنفسه . . . أكيد ستكونوا المواجهة شديدة .

حاول أن يسيطر على الجمل لكنه كان ينطلق بقوة ذاتية كان شخصاً ما يوجهه حسبياً يشار إليه أو كأنه مبرمج للسير في هذا الطريق.

وبعد ساعة ونصف تقربياً اقترب من البستان المنشود ..  
صاحت عاشرة قبل أن يقتربوا منه :  
- أكاد أشم رائحة الليمون .. إنها نفاذة وقوية ..  
وتدخلت مروة قائلة :  
- إنه ليمون طبيعي .. رائع ..

هنا يرقت عينا العجوز ، وسرعان ما أدرك أنهم قد دخلوا فخاً منصوباً لهم . فالبستان الذي يفرز اللون الأصفر لا ينطلق منه رائحة نفاذة . لأن الليمون البزهير أشبه بثمار الليمون الحقيقية لكنه شيء مختلف تماماً .

ولكن ، بدا أن الوقت قد فات للفهم ، فسرعان ما دخل الجمل البستان وسرعان ما انغلق المكان عليهم ..

(٤٩)

صاحب العجوز :  
- خذوا حذركم .. اقفزوا ..

ولكن أحdam لم يقفز ، فقد راحت سنام الجمل ترتفع إلى أعلى  
بسرعة وأحس الرفاق أنه من الصعب أن يقفزوا إلى الأرض ، راحوا  
يصرخون من الدهشة ، وتساءل كل منهم :  
ـ ما هذا .. إنها مؤامرة !!

وبينما راح الجمل يتنفس ويكبر أكثر فأكثر ، أسرع العجوز  
بالوقوف فوق طرف السنام ، وراح يمسك سيفه الذي ظهر فجأة  
وأخذ ينسلخ من شيخوخته حتى تحول إلى الفارس النادر ..  
ـ صاح :

ـ الويل لمن يخترق الفارس النادر ..

ورغم ذلك لم يتوقف الرفاق عن الصراخ . وبسرعة دفع  
الفارس سيفه العملاق في جسم الجمل الذي كان قد بلغ في تلك  
اللحظات أقصى حالات التضخم ، وكأنه سوف ينفجر بين لحظة  
وأخرى ..

أدرك فجأة أن هذا الجمل ليس سوى كائن صناعي من اختيار  
ذلك الشبح الأزرق ولذا لم يتوان عن ضربه بالسيف ضربة واحدة  
أحدثت ثقبا في سنته الثالث وسرعان ما انطلق منها هواء مفرغ  
أحدث صوتا .. وراح الرفاق يقتربون من الأرض مرة أخرى ..  
ـ هنا صاح العملاق :

ـ اقفزوا .. بسرعة ..

و قبل أن يقفزوا انطلقت من داخل الجمل انفجارات هائلة ،  
كأن هناك قبلة موقعة بالداخل .

هنا راح الرفاق يتذمرون وهم يحاولون أن يتفادوا اثر الانفجارات  
عن أجسادهم ، ويداً أن الأمر خطير فعلا ، هنا أمسك الفارس  
سلاحه ، ورفعه في الهواء . و راح يهوي به فوق إحدى القنابل  
المتفجرة . و سرعان ما أسكنتها . ثم راح بكل قوته يجرب الأمر في  
بقية القنابل التي بدا كأنها لن تكفي عن الانفجار .

( ٥٠ )

فجأة ساد السكون وكأن شيئاً لم يحدث بالمرة ..  
توقف الرفاق أمام الفارس النادر يلهثون وراحت عيونهم  
تساءل فيها بينها :

ـ هه .. ماذا حدث بالضبط ؟

قال الفارس : لسنا هنا في البستان الحقيقي ؟  
تساءلت عائشة : كيف . فأنا أشم رائحة الليمون .. إنها  
نفاذة . الضوء ليست له رائحة .. والألوان تتولد دائماً من الضوء .  
ولم يفهم الرفاق شيئاً ، ولكنهم ساروا خلفه ، رأوه يضرب بسيفه

إحدى الشهار ، وسرعان ما انفجرت في وجهه فانحنى ونجح في أن يتفاداها ، نظرت مروءة إلى الأرض حيث سقطت النار ، وأحسست بالحزن وقالت :

ـ يا إلهي .. إنها ليست ثمرة ليمون ..

ـ هنا أخرج الفارس مرأة الذاكرة ، وقال : انظروا هنا ..  
ـ وسرعان مانظروا .. وكان المنظر شديد البشاعة ، حيث بدت أشياء غريبة تتعكس في المرأة .. قال شادي :

ـ إنها ليست ثهارا .. نحن إذن في المكان الخطأ ..

ـ صاح مصطفى : علينا أن نغادر هذا المكان ..

ـ هفت عائشة : الحق ، إنها تكبر .. ستتفجر ..

ـ وارقى الجميع أرضا .. فقد انفجرت إحدى الشهار المزيفة وتناثرت من حولها شظايا غريبة الشكل كانت كافية أن تحرق أي جسم قريب منها .. وسرعان ما بدأت النار التي ملأت الأشجار في الانفجار بدورها .. وامتنجت صرخات الخوف ، بأصوات الانفجار ، وصياح «الفارس النادر» الذي تمدد أيضا فوق الأرض وقال :

ـ سدوا آذانكم ..

ـ صرخت مروءة : سوف تهلك ..

ـ قال بكل حزم : قلت سدوا آذانكم ..

(٥١)

وانفجرت النيران في البستان المزيف ، وكانت كلما انفجرت ثمرة تحدث صجة عالية وتهتز الأشجار والأرض ، وبناء على نصيحة الفارس كان عليهم أن يغلقوا أعينهم ، وأن يسدوا آذانهم حتى انتهى الانفجار ..

وقف «الفارس النادر» مرة أخرى ، وقال :  
- لا تخافوا .. الشمار المزيفة لاتتتج سوى الجمجمة . جمجمة بلا طحن ..

قبل أن يتنهى من جملته صرخت عائشة :  
- انتبه .. سياكلك .

وبكل سرعة ، التف الفارس النادر حول نفسه مرتين ، وبقوته الخارقة دفع سيفه كى يقطع الشجرة التى كانت خلفه ، والتى كانت تتحرك نحوه وقد فتحت جوفها وكأنه تحول إلى فم به عشرات الفكاك المفترسة التى يمكنها أن تفتاك به في لحظات .

فجأة أصبح نصل سيفه حاداً للغاية وقوياً ، واستطاع أن يقطع جذع الشجرة الضخم الذى يصل قطره إلى مائة متراً إلى قسمين .  
وقبيل أن تسقط الشجرة هتف شادى :  
- الحقى ياعائشة .. الحقى يامروة ..

و قبل أن تصرخ الفتاتان ، اندفع شادي يغرس سيفه الذي ظهر فجأة في يده في الشجرة التي كادت بدورها ان تفتك بالفتاتين ، و فجأة قبضت الشجرة على سيف شادي وكأنها تود أن تحفظ به ..

صرخ شادي في مصطفى :

- اضر بها . إنها قوية ..

ف تلك اللحظات ، اندفع الفارس كى يقطع جذوع كافة أشجار البستان التي تضخم عن غير انتظار . و تحولت إلى حوش كاسرة تود الفتوك بهم جميعا .

بدت المعركة باللغة الشراسة بين الأشجار وبين فرقة الفارس النادر الصغيرة .. وأحس كل من شادي ومصطفى بالحماس الشديد وهم يقطعن جذوع تلك الأشجار المزيفة ويتخلصان منها ، أما «الفارس النادر» فكانت المواجهة معه أشد بأسا .. لكنه لم يعرف اليأس أبدا ..

(٥٢)

استمرت المعركة طويلا . وانتهت حين تحول هذا البستان الأخضر المزيف إلى كومة من الفروع الصفراء التي بدت فجأة و كان الجفاف أصابها منذآلاف السنين .

راحوا جمِيعاً ينتهدون . وهم ينظرون إلى بقايا المعركة ، قالت عائشة :

ـ يالها من معركة شرسة حقا ..

قال العجوز الذي أعاد مرآة الذاكرة إلى مخلاته البيضاء وكأنه ينبه الأصدقاء إلى شيء هام :

ـ لقد قارب اليوم الثالث على الانتهاء ويجب أن نعود ..

علقت عائشة : لكتنا لم نأت بعد باللون الأساسي الثالث ..  
اللون الأصفر ..

قال العجوز : غداً يجب أن يسقط المطر ويظهر قوس قزح ..  
والرحلة طويلة ..

ردت مروة : لن نعود إلا ومعنا اللون الأصفر .. يجب أن نخرج من هنا حالا ..

بدت اللحظات حرجية وكأن الوقت يمر مضاداً للرغبة هذا الفريق ، فقد قارب اليوم الثالث على الانتهاء وتمكنوا من تدبير بقعة ضوء زرقاء وأخرى حمراء ، ويمكن بها استعادة بعض الألوان ..  
لكن اللون الأصفر بالغ الأهمية لاستعادة قوس قزح الضائع أو شبه المخطوف ..

ما إن خرجموا من البستان المزيف حتى وجدوا أنفسهم في مكان

غريب لم يلحظوه حين دخلوا . فقد شاهدوا سبعة أبواب متشابهة يؤدي كل واحد منها إلى بستان كهذا هو واضح من اليفط المعلقة فوق كل باب ..

### رد مصطفی :

.. يلدو أننا سندور في حلقة مفرغة ..

تم العجوز : لن نخرج من هنا بسهولة . . علينا دخول بوابة واحدة من هذه كى نخرج إلى الطريق الصحيح . .  
تساءلت عائشة : لكن كيف يمكن أن نعرف بوابة البستان  
الحقيقى . ?

## علقت عائشة : أن نجرب حاسة الشم ..

فِي تِلْكَ اللَّهْظَاتِ تَحْرِكُ شَيْءٍ فَوْقَ الرَّمَالِ الْخَضْرَاءِ وَرَاحَ يَنْفَضُ  
عَنْ جَسْدِهِ الْعَمَلَاقِ ، وَكَانَ غَرِيبُ الشَّكْلِ حَقًا ..

راح يكبر ويكبر ، كان حيواناً أشبه بالتمساح ، له أسنان قوية في فمه ، ولكن يديه أشبه بيدى غوريلا ضخمة يمسك بها مسدساً ذا ثلات فوهات . راح يشهره في وجوه الرفاق ، ويقول : - من يأتي هنا لا يخرج إلا بعد أن يرد على السؤال الحالى . حاول العجوز أن يعم . الرفاق خلفه ، وأن يتصدى ، لهذا الحيوان

الضخم والذي يشهر مسلسه نحوه .. قائلًا :

- وماذا يحدث لو لم نعرف الإجابة .. ؟

رد الحيوان : تموتون جميعا .. وتدفونون هنا .. تحت الرمال  
الخضراء .. هه .. مستعدون .. ؟

مط الجمیع شفاههم مستسلمین و قالوا معا :  
- نعم مستعدون ..

فرد الحيوان قامته ثم فتح فمه كأنه يؤكد أن أسنانه كفيلة أن  
تقوم بالواجب حينما يفشلون في الإجابة .. وسأل :  
- لماذا لا نعتبر الأبيض ولا الأسود من الألوان .. ؟

وسادت لحظة صمت .. وعلى الفور لمعت أسارير الحيوان  
كأنه واثق بالفعل أنهم لن يعرفوا الإجابة واستعد لأن يتكلم وقد  
غمته الفرحة ، لكن شادي قال :

- هذا أمر سهل للغاية .. الأبيض لأنّه يعكس كل الألوان ..  
ويتعامل معها .. إذن فهو ليس لونا ..

ورغم هذا أحس الحيوان بالفرحة وانفرجت أساريره العريضة  
قايلًا :

- رائع ..

هنا أدرك الجميع أن الإجابة كانت سليمة . ولذا سرعان  
ماتدخلت مروة ، وقالت بكلمات سريعة وكأن الكلمات ستضيع  
منها :



- أما الأسود فإنه يمتلك كل الألوان، هو إذن خليط من كافة الألوان . ولذا فهو ليس لونا ..

وانفرجت الأسماير العريضة للحيوان وردد :

- رائع .. الآن يمكنكم دخول البستان الحقيقى .. ومسحون لكم أن تأخذوا بقعة الضوء الأصفر ..

وهلل الأصدقاء من الفرحة وراح العجوز يربت على كل من شادى ومروة، واستعد الجميع لدخول بوابة البستان . لكن فجأة صرخ الحيوان :

- لا .. الأشرار لا يدخلون البستان ..

(٥٤)

تراجعوا قليلا . وأحسوا بالوجل والخوف .. رد العجوز :

- ليس من بيتنا أشرار .

قال الحيوان : بل هناك شرير ، انه واحد منكم ، ويرتدى عباءة غريبة .. إنه هناك .. هل كان معكم ؟

رد العجوز : لا .. إنه الشبح الأزرق بالتأكيد .. إنه الشخص الذى يعرقل علينا رحلتنا ..

تمتم الحيوان بأسى .. لقد دخل .. لا أستطيع أن أمنع الأشباح . وسكت قليلا ، ثم أكمل : خسارة .. فهذا البستان

لайдخله الأشارر .. إذن فهذا الشبح سوف يفعل شيئاً شريراً ..  
خسارة ..

قفز العجوز من مكانه وانطلق نحو الباب بكل سرعة، راح  
ينسلخ من شيخوخته وقد ملاه العزم والإصرار أن يلحق بالشبح  
قبل أن يفعل شيئاً يندم عليه الحيوان . أو يندم عليه الجميع، ردد  
العجز بعدة أصوات متباعدة الترتيبات قبل أن يدخل البستان  
ويتحول إلى الفارس النادر :

- لاتقلق .. سوف ألحق به ..

انطلق بسرعة، وبسرعة شديدة ، وهرول ناحية الشجرة  
العملاقة التي في وسط البستان ، إنها شجرة ليمون جليلة ،  
لاتنطلق منها رواحه الليمون المعهودة ولكن هناك ثمرة واحدة  
فقط ، تتدلى من أعلى الشجرة ، وتساقط منها بقع الألوان التي  
تنقض الأرض وتسرى هناك في قنوات ، تتسرب بدورها إلى بقية  
أنحاء الدنيا حيث يتشر اللون الأصفر .

فجأة رأى الثمرة تهتز لأن شخصاً قد تمكّن منها ويسعى لأن  
يقتطفها .

صرخ الفارس النادر وهو يوجه مرآته نحو الشجرة :  
- أيها الأزرق .. أنا هنا ..

وبكل سرعة راح يلتقط نقطة من البقعة الضوئية الصفراء على

سيفه مالبشت أن انتشرت ، وتكاثرت بواسطة الضوء الذي سقط عليها من مرآة الذاكرة ، وبكل قوة أطلق اللون الأصفر في الفضاء فطار ووقع فوق جسد الشبح الخفي وسرعان ما راح يجسد الأماكن التي سقط عليها جسد الشبح ..

(٥٥) .

صرخ الشبح الأزرق :

- أيها الشرير اللدود .. لن تنال مني أبدا ..

وبكل قوته راح «الفارس النادر» يضرب بسيفه في الهواء ليثبت لخصمه أنه قادر أن يمزقه إربا ولكنه لا يميل أن يفعل ذلك أبدا ..  
ردد الفارس :

- استطيع الآن أن أشطر نصفك الثاني كي يبقى أخضر إلى الأبد ..

كان نصفه الظاهر الآن قد تحول إلى اللون الأخضر وذلك تبعاً لمنج بقعة الضوء الصفراء مع جسده الأزرق .. أحس الشبح بأن الهزيمة قد لحقت به فصرخ وهو يكاد أن يجهش :

- اقتلني .. حتى لا أبقى على هذا الحال ..

ردد الفارس : لا .. سوف تبقى هكذا .. لا أنت أزرق ولا أخضر، ونصفك الآخر خفي ..

وراح الشبح الأزرق سابقاً يتسلل :

-أرجوك .. اقتلنى .. جزاء ما فعلت ..

هنا ، كان الرفاق الأربعة قد وصلوا إلى مكان المواجهة ، وشاهدوا فارسهم النادر وقد امتلك ناصية الأمور أما الشبح فقد راح يتسلل ويتباكي أن يقتله الفارس بأى ثمن فإن في موته راحة من العذاب وأيضاً من الخزى أمام مدينته التى تخشاه ولا يريد أن يعود إليها أبداً يحمل أذى الهزيمة ..

سؤال الفارس النادر :

-ألسنت أنت الذى وراء ضياع الألوان من مدينة «البرقوق

الطازج»؟

هز رأسه وقد بلغ ذرجة من المهانة لاتدانيها درجة . وردد : لن افعل هذا ثانية .. توبه .. توبه ..

وحاول أن يكرر الكلمة الأخيرة عدة مرات . بينما فكر الفارس النادر في ما يمكن أن يفعله .. واستقر أن أفضل شيء أن يخرج به إلى حيث يوجد الحيوان ، حارس البوابة ، وعليه أن يقرر هو ماذا يمكن أن يفعل به .

(٥٦)

بعد قليل قال العجوز :

- الآن ، علينا أن نسرع للعودة .. فالوقت ضيق .

واستعد الجميع للعودة إلى الديار . لقد استطاعوا الآن تكوين كافة مزيجات الألوان من الألوان الرئيسية الثلاثة . فتكون الأخضر من مزج الأصفر بالأزرق ، أما البنفسجي ف تكون من مزج الأحمر بالأزرق ، وتكون البرتقالي من مزج الأصفر بالبرتقالي . وهكذا تكونت ألوان الطيف الأساسية ..

وفي طريق العودة ، بدا كل شيء كأنه قد رجع إلى طبيعته فهذه الصحراء العظمى قد عادت إلى رونقها الأصفر بعد أن انسحب عنها اللون الأخضر الصناعى الذى كساها ، أما الأقزام فقد نجحوا في استعادة ناقوسهم الضائع ..

قال العجوز والجميع يقتربون من بوابة مدينة « البرقوق الطازج » :

- الآن علينا أن نسترجع قوس قزح المفقود ..

في داخل المدينة بدا كل شيء كأنه فاقد الحياة واشتد حماس إدارة المدينة العليا لشن الحرب على جارتها اللدودة مدينة « التفاحة البنفسجية » ، كان هذا هو الشيء الوحيد الذى على إدارة المدينة أن تفعله كى تحاول إلهاء الناس عن تلك الكارثة التى أصابتهم أخيرا . وخاصة أن السحب الكثيفة لم تطر بعد ، وأن العجوز لم يعد حتى الآن ..

نزل من فوق جواهه واقترب من البوابة المغلقة وراح ينادي بأعلى صوته :

- أيها الرفاق .. لقد عدنا ..

لكن أحدا لم يرد .. بدا كأن الحرس قد غشىهم النوم العميق ، أو الحزن الشديد . صاحت عائشة :

- أنا عائشة .. بطلة الفريق القومي .. افتحوا الأبواب ..

وأخذت تدق فوق الباب الضخم المصنوع من المعادن التي لاتصدأ ، فجأة جاء صوت من خلف كوة الباب الصغيرة :

- الدخول منزع .. هذا آخر قرار ..

رد مصطفى : أنا مصطفى الصاروخ .. بطل الألعاب الصعبة .

جاء الصوت : ولو .. الحرب ستعلن بعد خمس دقائق ..

( ٥٧ )

فجأة هتفت مروة :

- انظروا .. المساوا معى ..

وراحت تفرد إصبعها نحوهم . لقد كانت هناك نقطة مياه على إصبعها ، هتفت :

- إنه المطر ..

و قبل أن تنتهي من كلماتها سقطت نقطة أخرى .. بدت كأنها

تسقط من السماء الرمادية على استحياء .. هل مصطفى :  
- إنه المطر .. يسقط على بلادي .. إنه الخير ..  
وصاحت عائشة مبتلة : المطر .. أشكرك يا خالق المطر ..  
هنا بدأت حبات المطر تتكثف وتزداد .. غتم العجوز :  
- يجب أن ندخل حالا .. فهذا أنساب وقت لاستعادة قوس

فزع

صاحت عائشة مرة أخرى موجهة كلامها إلى الحارس الذي  
يقف خلف البوابة :

- افتح .. لقد سقط المطر ..  
 جاء صوته يقول : ولو .. إنها الأوامر ..  
 رد شادي : خسارة .. سيفسخ كل شيء بسبب هذا الحارس ..  
 قال العجوز :

- عندي فكرة .. يجب أن ندبرها ..  
وقف الجميع خارج بوابة المدينة تحت سيل المطر الذي اشتد  
 شيئاً فشيئاً ، وقال بصوت عالي كى يسمعه :  
- الأمطار لا تفرق بين مدينة وأخرى .. والرياح الآن تتجه نحو  
مدينةكم .. انظروا ..

كانت حبات المطر تسقط مائدة قليلاً نحو الشيال بما يوحى أن  
الرياح تنطلق نحو مدينة « البرقق الطازج » .. قال العجوز  
مكملاً :



ـ الآن حان الوقت لنطلق قوس قزح ..  
وراح يعد عدته .

أخرج مرآة الذاكرة .. ثم راح يضيّطها كي يظهر على شاشتها  
شكل قوس قزح كما سجلته ذاكرتها .. وما إن ظهر القوس على  
سطح المرأة حتى قال العجوز :  
ـ آه .. هناك مشكلة ..

(٥٨)

إنها مياه المطر تسقط على سطح المرأة وتکاد أن تجعلها عاجزة  
عن العمل بكفاءة . سالت عائشة :  
ـ وما العمل ؟

قال : أكيد هناك حل ..

فجأة قالت مروة : إنها تجف .. إنها تعمل ذاتيا ..  
تمتم العجوز : إنها مرآة عجيبة حقا ..

كان سطح المرأة قد أصبح لاما . وانعكست عليه أشعة  
الشمس ، إلى جوار قوس قزح وقد راحت السحب تنقشع .. هنا  
أخرج العجوز مسدسا ضخما غريباً الشكل من جيده ثم فتحه  
وراح يفتح أنبوية الضوء الأحمر، فسكب منها في فتحة واسعة حتى  
امتلاء ثم سكب الألوان البرقالي والأزرق والأخضر والأصفر

والبنفسجى كل فى فتحة من فتحات المسدس الضخم ذى الفوهه  
الواسعة .

راح الرفاق يرقبونه باهتمام شديد وهم يعرفون ماذا يفعل  
بالضبط ، إنه يقوم بتركيب ألوان قوس قزح وسوف يطلقها بواسطه  
هذا المسدس نحو السحاب .

كان كل شيء يتحرك وفقا لخطة محددة ودقيقة . وبدا عامل  
الزمن هاما للغاية وحاسما . فيجب أن يحدث كل شيء قبل أن  
يتنهى سقوط المطر مباشرة .. حتى يمكن لأنواع قوس قزح أن  
تتجمع هناك ، إنها فرصة نادرة .

راح العجوز يضغط على المسدس بيده ، لكنه اكتشف أن  
أصابعه الواهنة غير قادرة أن تجعل الألوان تنطلق إلى هدفها ، وكان  
لابد له أن يفعل شيئا ، كان لابد لبيده أن تنسليخ من شيخوختها وأن  
يدب فيها الشباب والقوة كى تكون قادرة أن تدوس على الزناد .  
 وأنطلق اللون الأول : الأحمر ..

خرج من مكمنه في المسدس كأنه يود أن يتحرر من كافة قيوده  
وأن يعود إلى تلك السهاء كى يلعب دورا هاما في حياة أبناء  
المدينة ..

وسرعان ما رسم اللون الأحمر قوسا طويلا راح يمتد من الغرب  
إلى الشرق .. كان المنظر مهيبا ومثيرا للغاية ..  
ثم داس العجوز بيده القوية على الزناد مرة أخرى .. وأطلق

اللون الثاني . فأخذ طريقه إلى النساء يمدد إلى جوار زميله .  
وكانه يعرف طريقه جيدا ..  
وتتابعت الألوان في انطلاقها ..  
وعندما اكتمل قوس قزح .. كان مشهدا ، ويا له من مشهد !!

( ٥٩ )

صرخ رجل في المدينة :  
- انظروا .. لقد انتهت اللعنة ..  
رفع الناس أبصارهم إلى النساء ، أحسوا كأنهم كانوا مصابين  
بالعمى .. ردت إليهم نعمة البصر مرة أخرى .. صرخ رجل  
آخر :  
- آه .. إنه قوس قزح ..  
غتمت امرأة : آه .. ما أحلى لونه !!  
قال ابنتها : بل قولى يا أمى ، ما أحلى الألوان !!  
وكادت المرأة أن تبكي وهي تنظر من النافذة إلى النساء خارج  
المدينة ، وقالت وهي تترك لدموعها العنان :  
- الألوان لا تدخل مدينتنا ياصغيرى ..  
قال الصغير : لكن المطر جاء ..  
ردت المرأة : إنه مطر عابر ..  
وفي مكان آخر وعلى سطح إحدى ناطحات السحاب وقف

شاب مع مخطوبته ، وقال :

- انظرى ما أحلى النساء .. ؟

ردت الفتاة : كم أحب المطر ، لذا طلت منك أن نصعد  
هنا ..

قال الشاب : إنه قوس قزح ..

لم تكن الفتاة قد تنبهت بعد إلى ذلك القوس المتعدد الألوان  
الذى يظهر خارج المدينة ، ثم راح يتحرك شيئاً فشيئاً فوق مدينة  
البرقوق الطازج . كان المطر لايزال ينهمر . أما الشابان فقد أحسا  
فجأة بأن هناك شيئاً عجيباً قد حدث . قال الفتى :

- هل لاحظت شيئاً ؟ . انظرى إلى وجهك ..

وضحكت الفتاة .. فلم يكن من المعقول أن تنظر إلى وجهها ،  
قال :

- لقد عادت إليه نصرته .. عاد إليه لونه ..

لمست الفتاة وجه خاطبها الذى غسله المطر ، بدا كأنه قد  
استعاد رونقه الأول . فرأت شعره الأسود وعينيه العسليتين وقميصه  
الأخضر وبنطلونه الأسود .. وصاحت :

- إنها المعجزة ..

(٦٠)

بعد قليل ، نظر إلى الشارع ، كان المطر قد كف عن الانهيار

وبدا قوس فرح يملك ناصية المدينة ، يتشرّأ علّاهما ، وبدا أن  
عودته قد ساعدت حبات المطر أن تغسل الناس من أحزانتها  
وراحت تزيح عنها ذلك الحزن الكثيف الذي جثم فوق الجميع  
خلال الأيام القليلة الماضية .

ولم تمض سوى دقائق قليلة إلا وانفتحت أبواب المدينة مرة  
أخرى . وكان اللقاء بين الجميع ، كان الجميع كانوا مصابين  
بالغمى وارتدت إليهم أبصارهم . . ويالها من أبصار تغمرها  
السعادة . .

رقم الإيداع: ١٩٩٦/٧٨٨٩  
I.S.B.N. 977 - 09 - 0340 - x

### مطبوع الشرف

القاهرة: ٨: شارع سيريه المصرى - ت: ٤٠٢٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)  
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)



# خيال × خيال

## اقرأ في هذه السلسلة

- أبواب المستحيل الخمسة
- جسر الأهواز
- اختطاف قوس قزح
- سر المتأهّمات العجيبة
- مغامرات النطاط العجيب
- الهروب من وادي الهملاك